رحيق من دار السمبر

محمد إبراهيم محمد

اسم الكتاب: رحيق من دار السمبر

اسم الكاتب: محمد إبراهيم محمد

تدقيق وتنسيق: نورهان هاني

تصميم الغلاف: مي مجدي

رقم الإيداع: ٢٠٢٥/٤٤٧٢م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٦٣٣-٨٢٩٧-٠٣-٩

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية

رحيق من دار السمبر

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من حملتني
ووضعتني كرها،
وربتني.. فأحسنت
تربيتي.. وعلمتني..
فأحسنت تعليمي..
وهذبتني، فأحسنت
تهذيبي..
أمي العزيزة أمي..
حفظها الله، وأثابها عني
خير الجزاء.. وجعل
الجنة مثواها..
والجنة تحت أقدام
الأمهات.
وإلى أم مياسة..
عُشْرَة عُمُر..
أشرقت ثم خبت.

تقديم

أستهل هذا الديوان ب (إطلالة)، أبيات من الشعر ترحب بطائر السمبر، ملك من ملوك الطيور، مهذب ووقور، عند قدومه مع تباشير موسم الخريف إلى (دار السمبر) بلدة الشاعر التي نهل كثير الكثير من مواردها.

و ختم ب (وداع)، أبيات من الشعر تودعه وهو يغادرها نهاية الموسم المطير. وبين (إطلالة) و(وداع) تنساب قصائد الديوان تحكي عن انفعالات الشاعر وهو على متن سفينة الحياة وهي تمخر به عباب بحر الأيام، ينتشي ويتمايل فرحاً حينما تتهادى به في مياه هينة هادئة مع رياحٍ طيبة، ويحزن ويتألم حينما تضطرب به في ميإه صاخبٍة هادرة مع رياح عاصفة.

د. احمد الفكي

فهرس المحتويات

م	عنوان القصيدة	رقم الصفحة
١	إطلالة	١٠
٢	أمي	١٣
٣	خالتي	١٥
٤	إخلاص	١٧
٥	سوسو	١٩
٦	مياسة	٢٥
٧	الأيام الخالدة	٢٦
٨	أغاريد	٢٧
٩	غني يا عصفور	٢٨
١٠	أفراح	٢٩
١١	نسمات الفولة	٣٠
١٢	غزة	٣١
١٣	أطلال	٣٢
١٤	أشواق	٣٣
١٥	صوت وصدى	٣٤
١٦	الإيدز	٣٨

١٧	يا ناسي	٣٩
١٨	القاهرة	٤١
١٩	عهد وميثاق.. ولقاء	٤٥
٢٠	مطر الخريف	٧٣
٢١	وسجى ليل ودّان	٧٥
٢٢	الرحلة	٨١
٢٣	رفيق الدرب	٨٤
٢٤	المقهورون	٨٧
٢٥	إلهام	٨٩
٢٦	لن أبوح باسمه	٩١
٢٧	غربة	٩٢
٢٨	لواعج الغربة	٩٣
٢٩	لا تسلني يا حبيبي	٩٦
٣٠	وا خرطوماه	٩٩
٣١	لا تسل	١٠٥
٣٢	بارا وأم الطيور	١١٣
٣٣	الحرب مفتاح الفرج	١١٦
٣٤	وداع	١١٨

مرحب.. مرحب..

حباب عشرة..

لا صرة لا كشرة..

طير سمبر.. سمبور..

مرحب.. مرحب..

حكيم لقلاق..

طويل ساق..

أبو منقار.. أبو منقور..

لابس سواد..

متشح بياض..

طائر فوق خيام، عشش، وقصور..

لا إشارة.. لا نور.

مرحب.. مرحب..

يا مهذب.. يا وقور..

عالي همة.. رقيق شعور..

هاوي دُعاش..

غاوي رُشاش..

لمَام قُشاش..

أعواد ورود..

لكَ أعشاش..

أوراق زهور..

لكَ فُراش..

كيف كانت الرحلة؟

فوق جبال..
بين فيافي..
عبر بحور..
هل كل السرب عاد؟
أم تلاشى من تلاشى..
كغبار ورماد..
وتوارى من توارى..
بعد تعبِ جناحٍ، ورهقٍ، وسُهاد..
ما بين كهوف ووهاد..
ها هي..
خُضرة تكسو قرى، مدن، ثغور..
ها هي..
أعشاشٌ فرحى على أشجار..
بعد طول صبر..
وحر جمر..
وطول انتظار..
لموسم سرور وحبور..
حل خريفٌ حل..
يا رهو يا سمبور..
حَلَ ميلادٌ حل..
ميلاد قوس قزح..
أزرق، أبيض، أحمر، أخضر يخضور..
ميلاد ثمر..
بعد بذر بذور..
حَلّ خروجٌ حَل..

من ظلمة بيض إلى فضاء فسيح ونور..
ثمة! فراخ تكتكت..
يدفئها ريشُ أجنحةٍ وصدور..
حذرٌ.. حذرٌ! لا يمنع مسطور..
منهم من فوق شجر يسقطون..
ومنهم من عن طوقٍ يَشِبون..
ومن مناقير حانيةٍ..
حشراتٍ وفراشاتٍ يلتهمون..
ومن حلوقٍ شافيةٍ..
ماءٍ زلالٍ يشربون..
ثم طرباً يشقشقون..
ومن بعدُ لطيرانٍ يحاولون..
ومن فننٍ إلى فننٍ يقفزون..
وسريعاً لأعشاشهم يعودون..
خوفاً من حدآن ونسور..
ثمة! يا رهو يا سمبور..
دوامُ حالٍ مُحَال..
لا بد من عصا تِرْحَال..
غداً.. يرحل خريفٌ نحو تلال وجبال..
وترحل ضفادعٌ في سراديب طِوال..
وترحل فراشاتٌ نحو حدائقَ ذاتَ بهجةٍ وجَمَال..
وترحل طيورٌ نحو آكامِ أدغال..
وغدا حتما تَرْحَل يا حكيم الطيور.. يا سمبر.. يا سمبور.

أمي

أمّي، يُمّه، أمّاه، ماذا أقول؟
وفَمِي يشْكُمُه لِجَام
بماذا يبوحُ لساني؟
وغاب من عَلَمه نُطْقَ كلام
ماذا أقول؟ وحلقي يابسٌ
وما به بردٌ ولا زُكام
ماذا أقول؟ وغاب
من حَمَلني في سويدائه أشْهُرٍ
عذابُها يفوقُ عذابَ تِسْعَةِ أعوام
ماذا أقول؟ وغاب عني
من سَهِرَهُ ألمي
وصلى لأجلي والخلقُ نيِام
ماذا أقول؟ ورجلاي
لا تتحركان لوراءٍ ولا قُدام
كيف يكون ذلك؟ وغاب عنها
من عَلَمَها كيف تحبو،
كيف تقف، وكيف تمشي بانتظام
أمي، يا أمي، ماذا أقول وأنا تائِهٌ

وسط غُبارٍ، رمادٍ، وزِحَام
كيف أنجو؟ وغِبْتِ يا بوصَلتي
التي تَهْدِيني إلى حلالٍ ونَبْذِ حَرَام..
يا يمه، ماذا أقول وأنا مَرْمِيٌ
في بحر لجي تلاطَمُه أمواجٌ عِظام
تذكرت هَمْسَكِ في أذَّني
يا ولدي تعلم كيف تسبح
هذا من هدي خير الأنام
طيشي ونزقي يومَذاك منعاني
لذا، فأنا لا مندوحةَ غارقٌ
كولدِ نُوحٍ (يام)
أماه، يا أماه، أنا أعمى
ظلامي فوقُه ظلام
كيف أبْصِرُ؟
وغبت يا عيني التي أبصر بها..
كلما عَصَفَت بي خطوبٌ جِسام
يا أماه، ما لذّ من بَعْدِك صحوٌ ولا مَنامَ
ما سواكِ حُطامٌ في حُطام
ومن بعْدِكِ على دنياي السلام.

خالتي

خالتي ...

كلما رأيتهُا تروحُ وتغدو..

رأيتُ ملاكاً يمشي طرباً وهو يشدو..

كلما بقلبها مني تدنو..

ألقٌ ونورٌ من مُحَياها يبدو..

خالتي...

كلما لامست يداها يديا..

سرى دفـءٌ روحانيٌ منها إليا..

وكلما رنت مُقلتاها نحوي..

ومَضَ حبٌ شغوفٌ في عينيها وعينيا..

كلما سَمِعْتُ صَوْتَها..

دَنْدَن لحنٌ سماويٌ في أذُنيا..

خالتي...

لُقْمةُ كِسْرَةٍ عندها..

من كل فاكِهَةِ دُنيا أشهى..

رَشْفةُ ماءٍ من كوبِها..

من كل شَهدِ نحلٍ أحلى..

بسمةٌ تَرِف على شفاهها..

من كل رفَةِ طِفلٍ أنقى..

خالتي...

سموها عاشه حميراء..

لكي تعيش تحيا..

أرزاقٌ تأتيها سهلا..

تنفقها بلا منٍ، لا تُبْقِ منها شيا..

شمعةٌ تحترقُ تنزفُ تتلاشى..

لأجل أن يسعد غيرها ويحيا..

خالتي...

مهما دعوت لها سِرَا وجَهْرَا..

لن أوفيها بعضاً من بِرِها..

هي أم! لن أقْدِرَ على شُكْرها..

ولو وضعتُ القمرَ في حِجْرِها.

إخلاص

فِدَاكِ المُهْجَةَ والرُوح!!

يا مَنْ جَعَلْتِ لِحَياتِي مَعْنَى..

فِدَاكِ الأمْسَ!!

أمْسُنا الذي طَوَيْنَاهُ بَعِيداً..

ولكِنَه ُللقَلْبِ أقْرَبُ وأدْنَى..

فِدَاكِ اليَوْمَ!!

يومُنا الذي نَعِيشُه معاً..

ما أشْهَاهُ لَحْنَاً وَما أحْلاهُ مَغْنَى..

فَدَاكِ الْغَدَ!!

غدُنا الغيبُ المغيبُ..

لا نَدْرِي من مِنّا أولاً يَرْحَل يَفْنَى.

* * *

والتَقيْنَا..

وما كُنَا نُخَطِطُ لهذا اللِقَاء

ما شِئْنَا يا تَوْأمَ رُوحِي..

إنّمَا القَدَرُ شَاء...

ثُم َسَلكْنَا مَعاً دُرُوبَ الحَياَة..

عِشْنَا في واحَةٍ فَيْحَاء...

مَنَحْتِنِي أقْصَى ما أنْشُد..

حُبَاً إخْلاصَاً ووَفَاء...

مَنَحْتِنِي أقْصَى مَا أهْفُو..

حُلُماً أمَلاً رَجَاء...

مَنَحْتِنِي أعَزّ ما أمْلُك..

قُرَةَ عَيْنٍ أحْفَادٍ وأبْنَاء...

مَنَحْتِنِي يا حَيَاتِي..

الصَبْرَ على عَيْشٍ بِكِسْرةٍ ومَاء..

العُذْرَ يا حَيَاتِي..

إنْ بَدَرَ مِنِي ما عَكَرَ صَفْوَ صَفَاء ...

الغُفْرَانَ يا حَيَاتِي..

مَا أنَا إلَا إنْسَانٌ والإنْسَانُ خَطَاء.

سُوسُو

سُوسُو يا سُوسُو..

سُوسُو سَمْحَه..

سُوسُو لوْحَه..

سُوسُو قَمْحَه..

سُوسُو يا سُوسُو..

يا طير الجَنَة..

الغَرَدْ وغَنّة..

تعَالَ، تَعالْ...

نَنْنَة، ننْنة.. ننْننننننة..

نَدِيكَ بُوسَة.. ننْنة..

نَدِيكَ نُوسَة.. ننْنة..

نَدِيكَ سُوسَة.. ننْنة..

تَعَالَ.. تَعَال..هَدْهِدَ الجُهَال..

نَنْنَة، ننْنة.. ننْننننة..

* * *

سُوسُو يا سُوسُو...

سُوسُو مَاسَه..

سُوسُو مايْسَه..

سُوسُو ناعْسَه..

سُوسُو يا سُوسُو...

يا طير السُنُونُو..

أفَانينُو وقُنُونُو..

تَعَالَ، تَعَالْ...

نُوْنُو.. نُوْنُو.. نُوْنُننننننو..

نَدِيكَ رِمَال.. نُوْنُو..

نَدِيكَ تِلَال.. نوْنُو..

نَدِيكَ جِبَال.. نُوْنُو..

تَعَالَ.. تَعَال..سَكِتَ الجُهَال..

نُوْنُو.. نُوْنُو.. نُوْنُننننننو..

* * *

سُوسُو يا سُوسُو...

سُوسُو زاهْيَه..

سُوسُو باهْيَه..

سُوسُو لاهْيَه..

سُوسُو يا سُوسُو..

اللُولايَة، لُولُو..

بَصَلو وفُولُو..

تَعَالَ، تَعَالْ..

لولو، لولو.. لُوللللوُ..

نَدِيكَ ريَال لُولوُ..

نَدِيكَ هِلَال لُولوُ..

نَدِيكَ خُلْخَال لُولوُ..

تَعَالَ، تَعَالْ.. لُوْلِي الجُهَال..

لُولُو، لُولُو.. لُوللللوُ..

* * *

سُوسُو يا سُوسُو...

سُوسُو رَايْقَه..

سُوسُو فايْقَه..

سُوسُو سَايْقَة..

سُوسُو يا سُوسُو..

يا عمنا تُوتُو..

الفَاتَك فُوتُو..

فُوتُو.. فُوتُو.. فُوتُو..

تَعَالَ، تَعَالْ فووووتو...

نَدِيك شَبَال.. تُوتُو..

نَدِيك شَال.. تُوتُو..

نَدِيك عُقَال.. تُوتُو..

تَعَالَ، تَعَالْ.. رَقِدَ الجُهَال..

تُوتُو.. تُوتُو.. تُوتُتتتتتو..

مَيْاسَة

أتَيْتُ مِنْ مكانٍ بَعِيـــــد فَوْقَ رأسِي أحْمِلُ همَـا
وشوْقاً إلى سمراءٍ ودُودٍ ليَالِينا مَعاً أُنْسَاً وضَمَـا
إلى عفراءِ حُسْنٍ وجـُودٍ زَانَاهَا في الأعْيُنِ دَوْمَا
هَا هِيّ في مَشْفَى سُعُودٍ ولِيدُهُا مَلاكٌ خَداً وفَمَا
آه! مِنْ لمَحَاتٍ شَـــرُود أثَارَت فيَا حُزْنَا وغَمَا
يَا تُرَى! أفِي الأمْرِ سِـرٌ أمْ فِيهِ مَا مِنُه أخْشَـى
قَلبْتُ الوَرَقَ بِعَينَي صَقْرٍ فَتَبعْثرَ مِنْ يَدٍ رَعْشَى وَوَجْهٌ
قلْبٌ ثقُوبُه لَها غَـوَرٌ مَنْغُولِيٌ تَفشَى وهَلْ
بلَعْتُ ريقِي بِلا ضَجَـــرٍ بِالضَجَرِ تَشْفَى في دَرْبٍ
دَعَوتُ الله جَمِيلَ صَبـرٍ وَعِرٍ مَمْشَى في دَلالٍ زَهْوَاً
سَمَيْناَها مَيْاسَة لِتَرفُـــل وكِبْرَا نَدَاوَةً نَضَارَةً وَسِحْرَا
مِنْ حَلِيبِ ثَدِي تَنْهَل هَائِمَةٌ بِهَا قَلْباً وفِكْرَا
ليْسَ للأمِ دُونَها شُغْلٌ وعِيَادَتُهَا للطَبِيبِ تَتْرَا
مُذْ عُمُرُهَا شَهْرٌ أوَلٌ لأجْلِهَا كُلُ جُرْحٍ يَبْرَأ
لَا فَتَرٌ لَا مَللٌ ولَا كَللٌ تُمْطِرُ أسَاً وتارةً فَرَحَا
ومَضَت الأيامُ مُمْطِرَة خَلَفَتْ وَجَـعَاً مَا بَرِحَـا
ثُم حَلَتْ فَاجِعَةٌ مَاحِقَة خَلَفتْ فِي القَلْبَينِ قرْحَـا
وَدَعَتْ الدُنْيَا مَيْاســـة اسْتَشْرَتْ أَلَماً مَأ انْزاحَا
لا دَوَاء لما بِهِمَا من آفَةٍ بِرُوحٍ راضٍ مُنْشرِحَـا
سِوَى القُبُولُ بِمَا جَرَى كُلٌ بِمَا فِي صَدْرِهِ رَاحَا
فَرَقَتْ أبَاً عن أُمٍ لخِلين ما باحَا ولا اسْتراحا
بشِتَاتٍ جميلِ ذِكْرَيَاتٍ لَمَحَ فِي الأفُقِ ثُمَ اخْتَـفَى
كَانَتْ كَإشرَاق نَجْمَاتٍ بَيْنَهُ لَا خَبَى ولَا انْطَفَـــى
ولِمَيَاسَة لَمْعُ وَمْضَاتٍ لَا قَلْبِي قَلَى ولَا أبَداً جَفَى
مَا مَاتَ الْبَتَةَ مَا فَـاتْ

الأيام الخالدة

(عازف الفلوت)

يا عازف الفُلُوت فَنّك أشجانا

هيج أشواقنــا وبشِدَة هَزّانا

حلق بَينا فُوق.. فُوق.. وبشيشي دلانا

لنرتتي.. توتي.. ولبارا ودّانا

بوُد.. حُب.. وغرام.. غَنالَه غَنانا

يا سلام.. يا سلام منك أديتنا.. والله أدانا

******

يا عازف الفلوت فنَك أشجانا

فُوق رِمَاله في حضنه ضمانا

بنسيم نِيمَه لبَخَه وليمونه هبانا

بعبير رَيْحَانه وشْوَشَنا رشانا

ولبصله وفجله ولِلَمة شموسه شهانا

نار.. نُوار، ناس نُنْنَا ونَانَا

يا سلام.. يا سلام منك مُنانا.. والله أدانا

****

يا عازف الفلوت فنك أشجانا

للرحلوا فاتوا.. يا حليلهم.. طرانا

لأيام خالدة.. والله جرانا

بعد ذُبـُوله، وذُبُولنا، أحياها أحيانا

أحيا الفات.. ولحاضِر مُر نسانا

يا عازف الفلـوت فنك أشجانا

يا مِزْمَارنا.. يا حزن أحزانا

يا سلام.. يا سلام منك ومن طيبِ لُقْيانا.

* عازف الفلوت هو طيب الذكر الموسيقار حافظ عبد الرحمن مختار.

أغاريد

غرد يا حبيبـــي يا أحلى كنـــــار
أفْرَح تَرَنـــــَح على نَغمِ أوتـــار
غَرِد لنجـــــومٍ لسُهارى لسُمـــار
لحُبٍ لـــــودٍ لندى أزْهـَـــار
وغرد يا حبيبـي حنيناً ليلَ نَهـَـار
نهرُ ريدنا جاري أدينا رشفـــات
تنسينا ليالـــي طويلة مـُـرات
تِخَلى سُويعـَات حياتنا حُلْـوات
وغرد يا حبيبـي أعذب غِنـْوات

* * * * * *

الحياة سهلـــة نحن بِنْعَقـِـده
تدينا مُنـــَـانا بغرورنا نبـــدده
تدينا أو تَحْرِمنـا ما كُنا نَنْشـِده
يكفي إنك معـايا ألحاني بِتـــرْدِدَه
وبِنْغَني ســـَوا كطيورٍ مُغـَرِدَة

غني يا عصفور

غني يا عصفور غنـــــــي
لأنيس رُوحي غَرِد غنـــــي
في غُناك لمسَة مِنْ فَنـــــِي
في غُناك رَشْفَة مِنْ دنـــــي
ويا عصفور غرد غنـــــي
* * *
في غُناك رَعْشَة مِنُه ومِنـِي
رعشة تحكي بُعْدُه عنـــــي
رعشة تحكي جِنُه وجِنـــِي
ويا عصفور غرد غنـــــي
* * *
غني لي إنسٍ ومَعْشَر جـِن
ذكرهم حُسْنُه آسِرْنـــِــــي
جميل دله فاتنـــــــــي
ذكرهم تيهو فيهو ساجِنـــِي
ذكرهم حُبُه بيهو شاغِلْنـــِي
ويا عصفور غرد غنـــــي
* * *
يا عصفور لو يَرُوح منـــي
يَفْضِل طيفُه ساكِنـــــــي
أتحسر واقول لا مِنُه لا مني
الحُب قدر مكتوب لا تَمَنـــِي
ويا عصفور غرد غنـــــي

أفراح

أوزن أوتارَك حادِينـــا
أطربنا فناً ورنينـــــا
خليها تآنسنا تآسينـــا
ولي زَمَن مُرْ تنسينـــا
أوزن أوتارك حادينـــا

* * *

نَغَمَك عِطرُ أماســينا
شذاه أحلى ماضينـــا
خليه بِخَدِر صحارينا
خليه بِذَوِب مآسينـــا
وبِفَجِر فَرَح فينـــــا
وأوزن أوتارك حادينا

* * *

زهورنا فَتَحْ أمانينـــا
ونخيلنا ردَدْ غناوينـــا
يا نسيم فُوح رياحينـــا
يا غمام أبْسُم لينـــــا
وأوزن أوتارك حادينا

* * *

يا ليل سجِل حكاوينـــا
يا نجم سَهِر مآقينـــــا
يا قمر نَوِر لياليـنـــــا
نَوِر باقي عُمُر فينـــا
وأوزن أوتارك حادينا
أطربنا فناً ورنينـــــا

نسمات الفولة

وقت الغروب والشتول مشتولة
والخدار رويان والدنيا مبلولـــة
والغمام قريب أيدينا بطولـــــه
والغنم تنطح بقرون مسلولـــــة
هبت النسام من جبال الفولـــه
* * *
يلا يا بشار أحلب المبهولـــــة
خلينا نسكر نكرع المعسولـــة
إت يا حسيب التعب زولـــــه
حِيَت الغصون سِمْنَت المهزولة
يرعاك الإله أمورنا تَبْ محلوله
وهبت النسام من جبال الفولـــه
* * *
ديش البقة هاج فوح ديتولـــــه
محجوبنا ألحق بتيخنا وحبولـــه
جباركنا عيشه تبشه وفولـــــه
كركدي نور حيشان حوه وبتوله
نور الدنيا بي عرضها وطولـــه
وهبت النسام من جبال الفولـــه
* * *
تسلمي يا السلام تبيني المجهوله
تسلمي يا السلام تداوي المعلوله
جيهتي الواطه معدنه وبترولـــه
وعم خيرك بوادينا وسهولـــــه
ناسه شجره بقره وخيولـــــــه
وهبت النسام من جبال الفولـــه
* * *
ويعم خيرك من أبيي للفولـــــه
وهبت النسام من جبال الفولـــه

غَزَة

كيف الخلاص وغزة تخنــق ... أكباد أطفالها مِزقاً تُمَـــزق
دماء نسائها تراق وتهـــرق ... وعظام شيوخها دقيقاً تسحـق
أين النخوة؟ الكرامة تشنــق ... بيوتها تدك دكاً وتحـــــرق
حقولٌ تُجَرفُ زيتونٌ يُعزق ... لا كلب ينبح ولا حمار ينهـق
ولا شجرٌ فوقه غراب ينْعَـقُ ... كل ما فيها موته محقـــــق
كيف الخلاص وغزة تحرق؟ ... أبعد مخصب غزة تــورق؟
أبعد مُنَضَبٍ تُزْهِرُ وتُؤنـِقُ؟ ... كفُوفُ عارِنَا تَلوحُ تُصَفِقُ
عيونُ ذُلِنا بلا حياء تُحــَدِقُ ... ونَذيرُ شُؤمِنا شامتاً يُلقلـــِقُ
يُنافِق وله نُمَجِدُ نُصَـــــدِقُ ... كيف الخلاص وغزة تخنـق؟
ليتَ حُرُوفُنا قنابِلَ تُطْلـــَقُ ... ودُمُوعُنا وابِل فُسْفُور يَتدَفَقُ
وكُلُ ما فينا يَدُوسُ ويَخْـزِقُ ... أغزةُ صواريخُ شَمَمُكِ تَمْرُقُ
كالشُهُبِ تَسَاقَطُ تَفْتِكُ تَحْرقُ ... كفاها للشموخِ شمسٌ تَشْـرِقُ
كيف الخلاص وغزة تُخْنَقُ؟ ... وما القِمَمُ إلا كلامٌ مُنَمَـــقُ
وما السلام إلا حُلُمٌ أحْمَـــقُ ... يذْبَحُون فَكِهين ولهُم نَتَمَلَـقُ
وحولَ موائِدَ ذُلٍ نَتَحَلـــَقُ ... وبخيطِ خَصْمٍ حَكَمٍ نَتَعلـــَقُ
لَكِ اللهُ القِسْطُ المُطْلـــَقُ ... ولنا بِشاراتُه اللاتي سَتَـــحقَقُ
ولشَرِ صُهْيون تبيدُ وتَمْحَـقُ ... ومِحلُه الخيرُ يعُمُ ويَغْـــدِقُ
وَعْدُهُ حَقٌ صادِقٌ مُصَـــدَقُ ... ووعْدُهُم باطِلٌ مَكْذُوبٌ أخْرَقُ
غداً راياتُنا في القدسِ تَخْفِقُ ... غداً يَجِفُ دَمْعٌ وحَقٌ يَنْطِـــقُ

أطلال

أقْبِلي يا ربيعي حياتي سـراب
لا عبيرٌ لا رحيقٌ لا ربـــاب
أنت أنشودتي لحبٍ وأحبــاب
أنت أنيس ليالٍ يبـــــــاب
أنت ابتـــــهالات قلبٍ أواب
آه من سِحْرِ جمال
واحْوِرارِ عُيــُون
آه من نُبْلِ خِصَال
وحِسٍ حنـــــون
هَلُمِي هوانا بذرناه صِغـَــارا
ورعيناه حتى غدونا كِبَـــارا
يحفه طهرٌ سِياجاً وسِتـــَـارا
ثم افترقنا تنآينا دِيـــَـــارا
ضاع منا انْطَوى تـــَــوَارى
زهْوُ شَبـــَـــابٍ
عارضٌ لا يـدوم
كما ضَوءُ قَمَـــر
آفلٌ خلفَ غُيــُوم
تعالي أنْثرُي كلمـــاتٍ دُرر

زقزقي أقفزي متعي نَظـَـــر

أطلقي أشواقاً بين بَشـــَـــر

الدُموعُ لا تمحو مستطـــــر

ولا ما ولى تُحييه صُـــــور

إن كدَرَ حيـــــاةٍ

غداً لنا يهـــون

وستأتي أيـــــامٌ

بما نودُ يكـــون

تعالي نُسْمِعُ أوتاراً ألحانـــــا

نَهَبُ زهراً تِيجانا ورَيْحَانـــــا

نُغَرد شوقاً حباً وتِحْنَانـــــــا

ما خُلِقَ الهوى إلا لنـــــــــا

تعالي نَذُوبُ فيه نوراً وسنـــَا

أشواق

ولهان أعَاين زُهورَ الحـــي
ورود تِتْفَتَح تَكْوِيني كَـــــي
بسقيها بعيوني وقليبي مَـــي
بسقيها حناني ما دُمْتَ حـــي
ولهان أعاين زهور الحـــي

* * *

بسقيها وحَيَاتي جافة خِـوي
محتاجة زولاً حِنَين رِضي
يملاها نُور يَغْمُرا ضـــــي
بِشُوق وحَنَان يَعْرِشا فـــيء
ولهان أعاين زهور الحـــي

* * *

يا سقاة الحي ما في مـــَـي
إلا تقولوا البهواهو لـــَـــي
تدعوا ليهو وتدعوا لـــــي
أفْرَح بيهو ويَفْرَح بـــَـــي
أغني ليهو ويِغَنِى لـــَـــي
ولهان أعاين زهور الحـــي

* * *

يا سقاة الحي ما في مـــــي
إلا دُنيا الحب تـــروها ري
لا فيها تعيساً لا فيها شِقَـي
لا فيها وليداً ناقِصْلُه شـــيء
ولا مُحِباً حُبُه لِسَه نـــَـــي
ولهان أعاين زهور الحـــي

صوت وصدى

أيا صوتٌ تَرقْرَقَ شَفَ آذانـي
أيا صوتٌ تَدفقَ هَزّ أركـــانـي
أيا صوتٌ تَغَنىَ أيْقَظَ وُجْدانـِي
رجع ماضٍ دفينٍ أعيانـــــي
ذكرني لهواً لأندادٍ وخـــلان
وحكاياتٍ كانت مَحْضَ هِذْيـان
أيا صوت ترقرق شنف آذانـي

****

كم مشينا معاً بخطوٍ جـــذلان
وكم وقفنا بين عَزْفٍ لألحـــان
لعيونٍ عذبةٍ دائمةِ جريـــــان
فوق رمْلِ قُطْنٍ وكِتـــــــان
ولعصافيرٍ تشقشق بين أفنـــان
أيا صوت ترقرق شنف آذانـي

****

منديلك ضاع بفعلٍ شيطـــاني
وإن أنسى أأنسى مولدَ افتتاني
رغماً عنه أهواه يهوانـــــي
والقدر يربط أوَلَنا بثانـــــي

أيا صوت ترقرق شنف آذاني

****

كم وقفنا بذرى ربا أم درمــان
نسقى ورداً من نيلٍ ريـــــان
بقلوبٍ واجفةٍ دائمة خفقـــان
يا ما كنت أرْقَبُ امتحانـــي
أألقاكِ أم أأوبُ أُجَرْجِرُ سِيقاني
إما ردٌ للبَوابِ يُشْعِلُ نيرانـــي
أو تتأودي يا فينوسُ كعُودِ بان
وتِرْبٌ يَغْمِزْنَ بعينٍ ولســـان
ونسيمٌ يسمو بأرواحٍ وأبــدان
وسَبْجُ غَمَامٍ كموجٍ بشطـــآن
وأطيارٌ تصْدَحُ بلَحْنٍ فنـــان
أيا صوت ترقرق شنف آذانـي

****

كم ظللتنا عِنَايةُ رحمـــــن
وعيونُ ناسٍ في شَكٍ ونُكْـرَان
أنْسِيةٌ أنتِ أم من حُورِ جِنـــان
أين عُرْسٌ وخَدَانِ مُتـــورِدان
وثوبٌ أخْضَرٌ أماتني وأحيـاني
ودَدْتُ الزمانَ يقِف، ذاك كفاني

تأنَقْتِ في ألَقٍ أضَاء وُجْدَانـــي
ربيعُكِ ردَدَ أناشيدَ ودْيانـــــــي
وحمائمي غنَت هديلَ ولهـــان
أيا صوت ترقرق شنف آذاني
****
وربي خوفٌ وشُؤمٌ اعترياني
حظي عاثِرٌ كخَطْوِ عُمْيـــــان
شؤمي رآك أكْبَرَ مِن مكانـــي
وتَصَوُرِي، وخَيَالي وزمانـي
كنت فوق أحلامي وهِذْيانـــي
وفوق نَثْرِي وشِعِري وبيانـــي
أيا صوت ترقرق شنف آذاني
****
كم ظللتنا شجرة ذات أفنـــان
ما بقي إلا قطاف ثمر دانـــي
يا ما عشنا بقلبين متآلفـــــان
وعيناك أما سرك ما سرانـــي
أتذكرين جواهر دار الأمـــان
وخاتم بنانك الذي أعمانـــــي
يا ليت شعري أين الفرقــدان
أكانا يتهامسان بأن حبنا فاني

صدقا انصرم حبل توأمـــان
افترق وتر وقوس كمـــــان
خر وأنهد ما شدنا من بنيــان
العفو روحي الأمر ربانـــي
ما شئنا إنما مشيئة رحمـــن
أيا صوت ترقرق شنف آذاني

****

قيس وليلى بالحب نادمانـــي
كثير وعزة بالهوى آنســاني
ما أشجاهم أشجاني وأبكانــي
أودعت شعري بطن بركــان
ورحت أطوف بجزر وشطآن
أبحث عمن ضيعني وجفانـي
أيا صوت ترقرق شنف آذاني

****

وانسابت سنون عشــر فثنتان
صرت يشار إليك ببنـــــان
وصرت ذا نهى وبال هانـــي
ما دنوت دين ونبل منعانـــي
اتركي صوراً تمتعي بأغانـي
سأظل أناديك يا ذاتي وكيانـي

أما كفى حبك جنوني وهذياني
ما نحن إلا فراشان تائهـــان
لنار محرقة حتماً منجذبـــان
نظرة إليك وعينايا تفضحــان
تقولان أبلغ مما يقول لســانــي
أيا صوت ترقرق شنف آذاني
****
تقولين أشياء كثر تمنعنا تدانــي
ماضـينا ولـــى ولا آت ولا آن
فِكِي وِثَاقي دَعِيني وما أُعَانــي
تقولِين تَبَتلْ اخشَعْ للرحمـــن
أقول تَقَدَسَ من أحْياكِ وأحياني
ليلٌ وقمرٌ في وَلَهٍ ساجِـــدان
بحنينٍ وحبٍ وشوقٍ يتسَامران
كوني سحابةً خيرٍ وأمـــان
كوني يداً مبسوطةً نَبْعَ حنـــان
لا مالَ عندي كَفَيا ممدودتـــان
كان الجمالُ مشتتاً لمته عينـان
مهري لها شِعْرِي وألْحـَـاني
أيا صوت ترقرق شنف آذانــي
****

الإيدز

الإيدز ضرب بلـــــود خلف سنينها عُجـَـاف
جدودنا ما عِرفـــــوه كانوا ظُراف ونُضـَاف
كيفن يَعَرفوه وهـــــم تاج للفضيلة عُفـــاف
كيفن يعرَفوه وهُـــــم ملوك نظافة ظـُــراف

* * * * * * * * *

خاطِر عليلو كسيـــــر عُضامو رُقاق وُرهاف
لِسانُه كُلُه بُثـــــُور أنْفُه دِيمَه رُعـــَــاف
عِشْنَا وشُفْنَا كتيـــــر ما شفنا عليل بنعـــاف
عشنا شفنا كتيـــــر ما شُفْنا مَرَض بِنْخَـاف

* *آ * * * * * *

فَيْرُوسه فيهو مـــُوت مَجْهول دواهو شَـافِ
أهرب بعيد منـــــــه خليك فَطِن عـــَــرَاف
الموت قدر مكْتـــُوب لا بِتْمَسِك لا بِنْحـَــاش
الموت قدر محتـــوم مُوت مِيتَة أشـــــراف

يا ناسي

يا نَاسِي
زي ما تَنْسَى أنْســـَى
وزي ما تِجَافِي جَافِي
مِنْ زمَان إنْتَ نَاسِـي
وحبنا جواك ما فـــي
يا ناسي
هواك ما فيهو رَعْشَـة
شوقك ما فيهو لَهْفـــَة
حنانك ما فيهو لَمْسـَة
كلامك ما فيهو هَمْسَة
ويا ناسي
ليه تصر إنك تجافـي
وتزيد الجَفْوَة جَفْـــوَة
ويا ناسي
حَكَاوِي الرِيْد مآســِـي
فيها بِنْعَاني ونَقَاســِـــي
كم شكيناك يا ناســـي
لأصَائِل وأمَاســِـــي
ويا ناسي
خلي الدنيا حُلْـــــوَة
زُغْرُودة بألفِ غُنـوَة
وبى شُوقْنَا يا ناســِـي
أنفاسك تِعَطِر أنفاسـي
وتِنَسِينا إنَك لينَا نَاسِي

هذه القصيدة سطرتها للملحق الثقافي بسفارتنا بالقاهرة إبان وجودي هناك في زيارة أكاديمية لجامعة القاهرة ومعي زميل من أساتذة الجامعة، مرت بنا ظروف مالية قاسية لعدم وصول التحويلات المالية التي ترسلها وزارة التعليم العالي لنا بمصر عبر البنوك البريطانية، وذلك في وقت الحصار الاقتصادي على السودان، ذهبنا للملحق الثقافي ثلاث مرات، في الأولى استقبلنا بكل الكرم والحفاوة والترحاب، التي هي شيمة كل سوداني، وتزامن ذلك مع فوز الهلال على فريق الزمالك، في الثانية كان لقاؤه فاتراً، كأنه لم يلتق بنا من قبل، وفي الثالثة وضعت هذا الشعر المنثور في مظروف أنيق وقدمته له في أدب واحترام، باقي القصة ستجده بعد أن تنتهي من قراءة النص.

القاهرة

كان لنا لقاءانِ مَشْهـُودان
وثالثٌ مَغْمـــــُـــــور
في أول لِقـــَـــــاء
بهرتنا ثلاثةُ أمـــُـــور:
بهاءُ قاهِرةٍ ودفـءُ لِقـــاء
خالدٌ على مرِ دُهـــُـــور
غَزَلْتَ لنا فيه حريـــــراً
نمَقْتهَ بِدُرٍ ولؤلؤٍ مَنْثـُـور
جَدَفْتَ بعيداً بنـــــــا
حاكياً لنا أظْرَفَ حِكاَيات
عن بحرٍ عريضٍ اسمـه
أم جامعـــــــات
يا لها من ذِكْريـــــات
ويا لها من إشـــْـراقات
ثم بَشَرْتَنا بِمَوائِدَ عامِرات
تتزاحم عليها شَهِيـــاتٌ
من كِسَرٍ وأمُ رُقَيْقـــات
وضأنٌ حَمـــَـــرِيٌ
لحْمُهُ طَـــــــرِيٌ

وقد تحول بين أنيابِنـــا
إلى أعْذَبِ مَعْزُوفـــات
بعيداً عن نهِيـــــــــقِ
محَاشٍ ومُتَبـــْـــلات
****
كأنك تَّعْرِفُنا
منذ سنينَ خَلَون
منذ أيامِ حُورس وأخْنَاتون
مذ كانت ارواحٌ تُعانِقُ أرواح
في سراديبَ أهْرامات
في صمتٍ وسُكُون
****
في ثاني لِقاء
قَلبْت لنا ظَهْرَ المِجَن..
بَهُتَت صُوَرٌ مُزَخْرَفَات
وانزوت خَجْلي معَاني كَلِمات
حاولنا جَمْعَ ما تَفَرَقَ مِنْهَا
حاولنا لمْلَمَة شَتَات
ولكن هيهات هيهات
أضحت ظِلالٌ من ذِكْرَيات
****

عدنا أدراجنا وحديثُنا
ربما وصلتهُ عنا إشاعات
وربما وِشاياتٌ وشَمَارات
وربما أحوالُه لا تمشي
كما خَطّ لها من غايات
وربما.. وربما
أحزَنَتْهُ دموعٌ باكِيات
لزَمْلكاوِياتٍ ثاكِلات
****
ولكنّا حتماً عائدون
غِيابُنا عن السفارةِ لن يطول
ولأننا نعرِفُ سلفاً الجواب
والعِزُ في الخِطَاب
سَنَرْفَعُ راياتٍ
ونَدُقُ طُبُولاً
ونُشْهِرُ سِلاحاً
ونَهْتِفُ عالياً نقُول:
موعِدُنا أجْدَعُ مؤسَسَةٍ عِلاجِية
تِتَاجِرُ في قِطَعِ غِيارٍ آدمية
ومن يَقَع عليهِ الاخْتيار
مِنا نَحْنُ الاثْنَان

سَيبيعُ بِبَخْسِ أثْمَان

هَاشَاً فَرِحاً جَذْلان

عيناً أو كِلْيَة

عملاً بِحِكْمَةٍ أزَلِيَة

إذا دخل فَقْرٌ قَرْيَة

جعل أعِزَة أهْلِها أذِلَة

****

مولاي يا مولاي لنا رجاءٌ أخير

أن يبقى سرُنا هذا دفين

مهموسٌ محبوسٌ

في صُرةٍ مصرور

لا يخْرُج من هذا بَاب

ولا من تِلكم سُور

حتى لا يَتلقفُه مأفونٌ موتور

فيَحْرِمَنا سِرَنا

أنِيسنا في وَحْشَةِ قبور

عندما تَنْقَطِع عَنْكُم وعنّا

أسبابُ مرَحٍ ودواعِي سُرُور.

****

نهاية القصة، يا للعجب العجاب!

الشعر ليس دائماً بضاعة كاسدة كما يقولون، وكما كان يفعل فحول الشعراء أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين جاءت قصيدتنا بنتيجة رائعة ما كنا نتوقعها، بعد قراءته للقصيدة واستملاحه لها لأنه من أهل الشعر والأدب وافق الملحق الثقافي على منحنا المال المطلوب من خزينة السفارة خصماً على استحقاقنا المالي الذي لا أحد يعلم متى سيأتي.

ألقيت هذه القصيدة على مسامع خريجي كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية- جامعة الخرطوم - للعام الدراسي ٧٥ - ١٩٧٦م في لقائهم السنوي الذي عادةً ما يكون في شهر رمضان المعظم في العاصمة السودانية الخرطوم، في واحدة من الأماكن السياحية المطلة على مياه النيل الخالد بمدينة أم درمان.
وتم ذلك اللقاء في واحدة من ليالي شهر رمضان للعام الهجري ألف وأربعمائة أربعة وثلاثين.

والغرض منها أن تكون دافعاً قوياً لهؤلاء الكوكبة الأخيار الأطهار من رفقاء وصحاب الأمس لأن يتمسكوا بقوة بهذه النعمة العظيمة التي منّ الله عليهم بها، والتي تمثلت في هذا اللقاء الراتب الذي يطمعون من ورائه في أن يكون سبباً في ربط ماضيهم البعيد بحاضرهم الماثل، وفي جعلهم يستشرفون مستقبلاً فاضلاً فيما تبقى لهم من أيام أعمارهم التي باتت قصيرة، وفي الوصول بهم إلى خواتيم سعيدة تجعلهم بإذن الله من أهل الفردوس الأعلى.

وهي بمثابة عهد وميثاق بينهم، تذكرة لهم أن يظلوا إخوةً متحابين ما داموا يدبون على ظهر البسيطة، وأن يحرصوا على ألا تفرق بينهم الأيام مهما كانت الدوافع والأسباب، وأن يداوموا على الالتقاء في كل عام لمرة واحدة على أقل تقدير، بعيداً عن زحمة الحياة وضيقها، وقريباً من رحمة الله ورحابتها، في كنف شهر رمضان الكريم ونفحاته العطرة الطيبة.

عهد وميثاق ... ولقاء

يا مَنْ للعُمُرِ رُفَـقَاء ...

يا منْ تَقَاسَمْنا ابتلاءاتِ هناءِ وشَقَاء

إن عزّ في دُنيا لِقاء

وتَسَللت خلسةً قَبْضَـةُ مَوتٍ

ما بين إشْرَاقِ صَبَاحٍ وذُبُولِ مَسَاء

والتَفَتْ ساقٌ بسَاق وحمَ قَضَاءٌ وانْقَطَعَ رجاء

خلوهُ باقٍ بينكم في كلِ عامٍ عَهْدَكُم، عَهْدَ لِقَاء

تنسموا أريجَ نيلٍ، في هدْأةِ ليلٍ، ما بين مَغرِبٍ وَعِشَاء

وارْشُفُوا من رحيقِ حبٍ وداً صافياً وفاءً وإخاء

* * * * *

يا صحاب ...

ما أحلى ساعاتِ لقاءٍ في كَنْفِ رمضان

شهرُ توبةٍ وغُفْرانٍ وقرآن

وما أحلاهُ من مُتكئٍ على أرائكٍ حولَ موائدَ رحمن

و(البُقْعَةُ)[1] من حولِنا عروسٌ لا يشوبُ جَمالَها عيبٌ و نُقْصان

تَتَنزلُ علينا رَحَماتٌ وَنفَحاتٌ من ربٍ حنانٍ مَنان

نَسْتلِذُ فَكِهِينَ بقطوفٍ دانيةٍ من ثُمرِ جِنَان

حينها يا صِحَاب... رددوا في جلالٍ كلِمات

خَطَها زمنٌ جَمِيل

مِلؤهُ عِفَةٌ، طُهْرٌ، عيشٌ رغيدٍ كريم

بمِدَادٍ نبيل

على صفحاتِ وجوهٍ نَيرَات

خطها مذ كنتم يا صحاب غراً يافعين

تُغرِدُون كعصافيرٍ نَشْوى في سُرْبِ أبابيل

---

[1] ام درمان

على أفنانِ وأعشاشٍ حبيبةٍ رحيبةٍ فسيحةٍ (ألون أو تو)(*[٢])

أمُ قاعات!!!

لا تدانيها شهرةً ورهبةً إلا قاعةً واحدةً

كانت ترتعِد فرائصُنا لها من دُون سائرِ القاعات

وكنا نَعُدُ طِرازَها المِعْمَاري ثامِنَ المعجزات

وكنا لا نؤُمُها إلا حاجِينَ إليها مرةً واحدة

بعدَ تعليقِ جداولَ الامتحانات

وكانت لنا فيها كَرَاتٌ، وفراتٌ، وصولاتٌ، وجولات

لأنّا نَنْشُدُ تميزاً، تفرداً، وتفوقاً، ونزدري سقطاتٍ وزِلات!!!

فيها قِياسُ جَوْدَتِنا وتحديدُ مساراتِ حياتِنا في أيامٍ مُقْبِلات!!!

وتصدحون نَشْوَى في سُرُبٍ مُؤتَلِفات

على أغصانِ ما دُونِها من قاعاتٍ صغيراتٍ ببارِدِ هواءٍ مُكَيْفَات

ثم تسكنون خاشعينَ كعُبادِ مساجِدٍ وكنائِسٍ

غائبينَ في ملَكُوتِ تسابيحٍ وتراتيلٍ وصلوات

[٢] قاعة محاضرات كبيرة بكلية الآداب جامعة الخرطوم.

ثم تَنْصِتون وأنتُم تَتَدبرون

مذاهبَ، ومقولاتٍ، ونظرياتٍ، وفلسفاتٍ

يلقيها عليكُم فطاحِلُ أساتذةٍ وأُسْتَاذَات

من وطنيينَ، هنودٍ، أفَارِقَه، وخواجات

مِنْهُم ولدا (عَوَض)،(صفيُ دينٍ) و(هاشِمي) (*[٣])

و(بُوب) و(طَيْفُور) و(وْد سُليمَان) و(تاجُ أنْبيَاء) و(وذْ جَاك)

و(أوكُومُو) و(سِنْج) و(تاذْرَس)

و(بَلْقِيس) و(فَهِيمَةُ سَادَات)

ثُمَ تطِيُرونَ فَرَاشَاتٌ مَرْحَى

تَحُومُونَ حَوْلَ أزاهير نَشَاطٍ وَوَرْدِ قُلٍ ويَاسَمِين

تُعَطِر، تُزَين مَمَراتِ ورُدُهَاتِ كُلِيَاتٍ ومَكْتَبَاتٍ لأمِ الجَامِعَات (*[٤])

* * * * *

٣ أسماء بعض الأساتذة الذين تشرفت الفرقة بتلقي العلم عنهم.

٤ : جامعة الخرطوم.

يا صِحَابُ ...

إن عزّ في دُنيا لِقاء
وتَسَللت خلسةً قَبْضَةُ مَوتٍ
ما بين إشْرَاقِ صَبَاحٍ وذُبُولِ مَسَاء
والتَفَتْ ساقٌ بِسَاق وحمّ قَضَاءٌ وانْقَطَعَ رجاء
خلوهُ باقٍ بينكم في كلِ عامٍ عَهْدَكُم، عَهْدَ لِقَاء
تنسموا أريجَ نيلٍ، في هدْأةِ ليلٍ، ما بين مَغرِبٍ وَعِشَاء
وارْشُفُوا من رحيقِ حبٍ وداً صافياً وفاءً وإخاء

* * * * *

يا صِحَابُ ...

ألم تَكَنْ (البَاراكْسُ)(*[٥]) لنا ملاذٌ وأمَان؟
ألم تُؤوينَا دَهْراً طَوِيلاً كَما آوت قَبْلَنا
فُلُولَ عَسَاكِرٍ إنْجليزٍ أعْوانُ شَيْطَان
الذِينَ عَافَهُم مَغْلُوبون مَقْهُورُون في بِلْدانٍ مُسْتَعْمَرات
لأنَهُم لمَا أتُوا ما كانوا يَحْمِلُون غَيْرَ طَاعُون
وصاروا مِنْ بَعْدُ في طُغْيَانِهِم يفْحَشُون
ويَظُنُونَ أنّ الشمسَ لنْ تَغيبْ عن مُلْكِهِم أبَداً إلى يومِ يُبْعَثون

[٥] مجمعات إسكان الطلاب

والْتَفَ حَوْلَهُم جَاهِلُون ومُنافِقُون وغَافِلون
وبعْدَ ليْلٍ طَويلٍ حَالِكِ ظُلُمَات
انْتفَضَ البُؤساءُ، طَرَدُوهُم كمَا تَطْرُدُ الأجْسَادُ أجْسَامَاً غَريبَات
لأنْهُم نَذِيرُ شُؤمٍ وجُوعٍ ومَرَض، يَحِيلُونَ الأحْيَاء أنْصَاف أمْوَات
تَحْتَ عَبَاءةِ مَكْرِهِم دَبَت مَصَائِبٌ عَفَنٌ نَمْلٌ ودُود
وسَرَت في ظُلْمَةِ الخَوْفِ، رَمَدُ عُيُونٍ، وجَدَرِي جُلُود
لم تَنْجُو منْ دَنَسِها، وقَيْحِها، وَقَيِها حُفْرَةٌ نَفَق أو أُخْدُود
وتَسَللت قُمَلٌ، صَراصِيرٌ، جَنَادِبٌ، جُرْذانٌ وسَطَ مُسَافِرِينَ قَسْرَا
عَبْرَ صَليلِ أنْهارٍ وعَويلِ شَلَالات
ولَعْنَاتِ أُمواجِ بِحارٍ ومُحِيطَات
بِلا ودَاعٍ ولا زَادٍ، رَازِحِينَ تَحْتَ سَلاسِل وقُيُود
بلا أسْماءٍ ولا جِنْسِياتٍ ولا جَوَازَات
أتدرون يا صِحَاب لِمَ كان صَلْفٌ، جُورٌ، وهَيْمَنَةُ بُغَاة؟
كُلُهُ لأجْلِ أنْ تَسْتَمْتِعَ تَتَرَفَه كِلابٌ وقِطَطٌ سَامِيَةٌ مُدَلَلات
تَحْضُنُهَا، وُتقَبِلُها عَشِيقاتٌ لهُم مُرَفَهَاتٌ مُنَعَمَات

* * * * *

أدارت على (باراكسنا) الدوائر كما دارت على بقاع حسبناها مقدسات

أأضحت أثراً بعد عينً ينعق فيها البوم؟ أم تحولت إلى قصور

وفلل فارهات؟

أم ما زالت على عهد سابق بحب وحنان تحتضن طلاباً وطالبات؟

هَلْ مِنْ خَبَرٍ عنْ الفَتَى الأنِيقْ اللَبِيبْ (جِبْرِيل)(*٦) وسَيارَتِه السَوْدَاء

(جُون فُورد)

التي كانت تتَهادَى تُغَازِلُ العُيُون

حامِلةً مَوادَ غَسِيلِ مَلابِسِنَا مِنْ نَفْتَالِين وظَهْرَ وصَابُون؟

وعِبَارَتُهُ الشَهِيرَة، (الغَسِيلُ إسْبشَال أجْرُهُ مُضَاعَفْ مَرَتيْن)

للعُجَالةِ الذين يمُوتُّونَ في البَهْجَةِ والأضْوَاء

ما زال صداها يتردد في فضاءات وأرجاء

إنَهُم عُبَادُ مسَارِحٍ ودُورِ سِينَما وبُيُوتِ حَفْلات

لا يَتَرَدَدُون عنْ دَفْعِ أيِ قَدْرٍ مِنْ الإتَاوَات

ما دامَتِ (البيرسُوري)(*٧) تأتِيهِم في مَوْعِدِهَا منْ غَيرِ

مُمَاحكَةٍ ومُمَاطَلَات

هَلْ مِنْ خَبَرٍ عَنْ (التَكِيَة)، سُفْرَةُ طَعَامٍ مَدِيدَة

---

٦ : متعهد غسيل وكي ملابس الطلاب بمجمع سكن الطلاب بالباراكس.

٧ : الدعم المالي الشهري من إدارة الجامعة للطلاب.

يَغْشَاهَا قاصٍ ودانٍ مِنْ أهْلِ مديَنةٍ سَعِيدَة

نَصْطَفُ على أبْوابِها كَجَرَادٍ جَائِعٍ آتٍ مِنْ قِفَارٍ بَعِيدَة

نَأخُذُ صَوَانٍ أنِيقَة وأنُوفُنَا تَشْتَمُ روَائِحَ زَكَيَةٍ فَرِيدَة

تَجْعَل شَهِيَانَا في حَالَةِ اشْتِهَاءٍ جَامِحَةٍ مُدْهِشَةٍ عَنِيدَة

وأبْصُارُنَا مَبْهُوَرةً بِصُنُوفِ أكْلَاتٍ ما بَيْنَهَا عَصِيدَة

وأيْدِينَا حَائِرَةً مُرْتَعِشَةً نَمُدُهَا لِتَخْتَار

ما بيْنَ أرْزٍ بِبُهَار وخُضَار

ولبَنٍ وباسْطَةٍ وسَمَكٍ ومَحَار

وجَلِي وكاسْتَرد وجَاتُوه وكَافْيَار

لا فَرْقَ بينَنَا وبينَ أولادِ الباشَوَات

الذينَ يأكُلُونَ بِمِلاعِقٍ وسكَاكِينٍ وشَوكَات

ونُزَلَاء أرْقَى الأوتيلات

الذين لا يَحْمِلُونَ للمَالِ هَمَاً عِنْدَ سَدادِ الحِسَابَات

مَهْمَا عَظُمَ حَجْمُ الُمطَالَبات

* * * * *

أيَذْكُرُ الزَمَانُ ليَالِينَا، ليَالِي سَمَرٌ وَطَرَب؟

يُحْيِيهَا مُلُوكُ عُودٍ، كَمَانٍ، مَنْدَلِين، وَقِرَب

(وذْ بَشِير)، وذْ شَمْبَات

(حَرَقَتْنِي النَار يا حَبيبِي ... النَار النَار يا حَبيبِي)

بِصَوْتٍ أخَاذٍ جَذَاب

بِرَشَاقَةِ بَهْلَوان وظُرْفِ كُومَيديَان يُحَلِق بِنَا

نُغَرِد كَسُنُونَاتٍ مُهَاجِرَات

(وَرْدِي)، وذْ حَلْفَا، أرْضَ الطُنْبُور الدُفُوف والذِكْرِيات

التي تَحْكِي عَنْ مآذِنَ وبُيُوتٍ في حُضْنِ النِيلِ نَائِمَات

(تَلْقَى فِيهَا النِيل ب يلْمَعْ في الظَلَام

زي سيف مُجَوْهَر بالنُجُوم منْ غَير نِظَام)

بِصَوْتٍ عَبْقَرِيٍ فَذٍ فَرِيد

يَسْحَر يُهَوِم في عَوَالِمَ مُوسِيقَى تَسْحَر بِتْهُوفِن ومُوزَارت

لا عَزَفَتْهَا فِرَقٌ ولا نَوَتَتْهَا نُوتَات

(وذْ الأمين)، وذْ الجَزِيرَة

أرْضُ خَيْرٍ، فَلاحِينَ، وفَلاحَات

وجُرُوفٍ، وتُرَعٍ، وحَواشَات

(بِ تِتْعَلَم من الأيَام مَصِيرَكْ بُكْرَة تِتْعَلَم

وتَعْرِف كيف يكُون الريد

وليه الناس ليه ليه بِتتألَم)

بِصَوتٍ جَهُورِيٍ مُؤَثِرٍ عَمِيق

يُهَيِجُ الشَجَنَ يُزَلْزِلُ الوُجْدَانَ يُخْرِجُ منْ الدَوَاخِل

أحّرَ الزَفَرَاتِ وأوْجَعَ الآهَات

طارداً ظَلامَ هَمٍ وما فيهِ من تَبَاريحٍ مُرَات

(ودْ الرَيَح)، ودْ ثُوتِي، الدُرَة التي أطْرَافُهَا بالنِيلِ مَحْفُوفَات

(حِلِيْل الراحُوا

خَلُوا الرِيح تَنُوح فُوْقَ الشَجَر)

بِصَوْتٍ دَفَاقٍ رَقْرَاق

يُوقِظُ الحَنِينَ ويَجْعَلُ الأُرْوَاحَ تَرْحَل إلى البَعِيد

حَيْثُ دِيَارُ أهْلٍ، وحَبُوبَاتٍ

وحُورِيَاتٍ سَاحِرَات

نُسِجَت فِيهِنَ حِكَايَاتُ حُبٍ خَالِدَات

لاكَتْهَا الألْسُنُ حيناً مِن الدَهْرِ

ثم اخْتَزَنتْهَا مَعَ أسَاطِيرٍ مُخْتَزَنَات

(البَلابِلُ)، بنَاتُ نيلٍ، نَخِيلٍ، مُوَشَحَات، وَمقَامَات

(في لَيْلِ الشَجَن والشُوق

سَألتَ عليك ونَاديتَك)

بأصْواتٍ سَاحِراتٍ منَغَمَاتٍ مُدَوْزَنَات

يَعْبُرْنَ خَمَائلاً أبْحُراً وبُحَيْرات

ويَقَرْن في جُزُرٍ مَا فِيْهِنَ غَيْرُ سَمَاءٍ ومِيَاهٍ زُرْق

ومَرَاكِبٍ شُراعِيَةٍ، وأشْجَارٍ، وطُيورٍ صَادِحَات

* * * * *

يا صحاب ...

أيَذْكُرُ الزَمانُ أنّا كنّا مِنْ بَعْدِهَا

نَعُودُ لنُوقِظَ أسِرَةً مُتَقَابِلَةً مُزْدَوَجَةً نَائِمَةً داخِلَ غُرَف

أو مُشَتتةً في فنَاء

لِنَغَطُ مِنْ بَعْدِهَا في نَوْمٍ هنيء عمِيقٍ لذيذٍ بلا ضَوْضَاء

لا يُعَكِر صَفْوَه إلا أزِيزُ قَاطِرَاتٍ راحِلاَت

أو هدِيرُ طائِراتٍ مُقْلِعَات أو هَابِطَات

أو طَنِينُ باعُوضَات غَافِلاتٍ هائِمَات

ولا يُمَزِقُ حَرِيرَ أحْلامِه إلا نِدَاءُ الفَجْرِ

حَيّ على الصَلاة

* * * * *

يا صِحَابُ ...

الأُولَى شَادُوا بحِجَارةٍ وصُخورٍ مَسلاتٍ وأهْرامَات
وتَركُوا على جُدرِ الكُهُوفِ رموزاً ورسُوَماتٍ وكِتَابَات
تَحْكِي عنْ عَبْقَرياتٍ لِحَضَاراتٍ باهِرَات
أيَا أيُها الصِحَاب يا وَيْحَكُم!!!
ما لَكُم كالْذُيُوك تَنْتَفِشُون
ومِنْ بعدِ ذلِكَ تَسَاءَلُون
كَمْ لَنا عَدَدَ زوجَاتٍ مِليحَات، للجَمَالِ مَلِكَات؟
كَمْ مِنْهُنَ في حَبَائِلَنا وحِبَالِنَا بَاقِيَات؟
وكَمْ منهُنَ بِالْرِضَى والحُسْنَى مُسَرَحَات؟
أقَارِبٍ أمْ أبَاعِدٍ؟ زَمِيْلاتٍ، أمْ سِكرتِيْراتٍ سَابِقَات؟
أخَلَفْنَا أوْلاداً وبَنَات؟
أَصارُوا رُمُوزَ طِبٍ وهَنْدَسَةٍ أمْ بَاشَوات؟
أمْ لا يزالُونَ يَنْهَلُون العِلْمَ في أقْصَى الأرْضِ
في أرْقَى جَامِعَات؟
أشَيَدْنَا بُيُوتَاً قُصُوراً أمْ عِمَارات؟
قَصِيرَاتٍ أمْ شَاهِقَاتٍ لِلْسحَاب ناطِحَات؟
امْتلكْنَا مَصَانِعاً وفَنادِقَاً، احْتَكَرْنَا أسْوَاقاً وتَوْكِيلاَت؟
غِيْطَاناً مَزارِعَ دَوَاجِنٍ وأبْقَارٍ مِسَاحَاتُهَا شَاسِعَة أسْوارُهَا عَالِيَات؟
كنوزاً مِنْ سَبَائِكِ ذَهَبٍ وفِضَةٍ في خَزائِنِ الْبُنوكِ أمَانَات؟
نقوداً سَائِلَة مِنْ جُنيَهَاتٍ فَرَنْكَاتٍ رِيَالاتٍ وُدولاَرَات؟

* * * * *

يا صِحَابُ ...

أخْشَى ما أخْشَى
أنْ نَكُونَ تُبَعُ طَائِفَةٍ حِزْبٍ أو جَمَاعَات
قُطْعَانٌ واقِفَاتٌ جَامِدَات
لا تَحْلِيلٌ لا فَهَمٌ، طَاعَةٌ عَمْيَاء لِمُومْيَاوَات
ما دامَتِ البُطُونُ مُتْخَمَة والجُيُوب مَمْلوآت
والحاجات والأمور مَقْضِيَات
ونِعَمُ اللهِ تَدْفَق من باطِنِ الأرْضِ ومن فَوْقِ سَمَاوات
الله، الله يا صِحَاب!!!
أيْنَ كُنّا في سَالِفِ الأوَانِ وما نَحْنُ فِيهِ الآن؟
نحنُ الآن في أحْسَنِ حَالاَت
نَسْبَح في بُحُورٍ لا سَاحِلَ لهَا منْ خَيْرات
نَتَمرَغ في نِعَمٍ يَحْسُدُنَا عليها مُلوكٌ وأمِيرَات
نَتمَتع بِقَضَاءِ أسْعَدِ أرْغَدِ وأمْتَعِ أوْقَات
لا يُكَدِر صَفْوَها إلا زَائِرٌ مُتَربِصُ آفَةُ آفَاتٍ
هَادِمُ لِذَاتٍ ومُفَرِق جَماعَات

* * * * *

وأخْشَى ما أخْشَى يا صِحَاب
أنْ نَكُونَ بَبَغَاوَات
رِيشُنَا سَمْحٌ جَمِيل ألْوانُه زاهِيَات
نُرَدِد في صَوتٍ نَدِيّ مقَاطِع حَمَاسِيَات

لِنَجاحَاتٍ انْتِصَاراتٍ وبُطُولات
لا يَهُم إنْ كُنّ صَادِقَاتٍ أو زَائِفَات
ما يَهُم أنّها تُدَغْدِغُ حَواسَاً مَيِتَات
تَجْعَل لهَا أحْلامَاً آمَالاً أهْدَافاً وغَايَات
مَتَى تَتَحَقّق هذه الأُمْنِيَات؟
فِي آمَادٍ قَرِيبَة أمْ بَعِيدَات؟
لا نَسْأل، إنّهَا غَيْبيَات
يَكْفِي أنّها على عِظَامِنَا مَنْحُوتَات
ومَعَ كُرَيَات دِمَائِنَا جَارِيَات
* * * * *
وأخْشَى ما أخْشَى
ذَلِكَ المَارِدُ الجَبَارُ العَنِيدُ دَاخِلنَا قَدْ مَات
مَاتَتْ معَه جَذْوَةٌ تَحَدَت تَحَدِيَات
أنَارَت دُرُوبَنَا هَدتْنَا إلى قَهْرِ مُسْتَحِيلات
وإلى الإتْيَان بِخَوارِقٍ ومُعْجِزَات
أَلْهَمَتْنَا كَيْفَ نَرْنُو أبَداً إلى ذُرى عَالِيَات
بحثاً عن حَيَواتٍ كَرِيمَات
لنَا ولِمَنْ هُمْ لأكْبادِنَا فَلَذَات
ولِكُلِ مَنْ ومَا يَدُبُ ويَمْشِي مِنْ كَائِنَات
ومَخْلُوقَاتٍ رَاقِيَاتٍ سَامِيَات
* * * * *

يا صِحَاب ...

ما الحَيَاةُ الدُنْيَا إلا مَتَاعُ الغُرُور

يَحُدُهَا ضِيقُ القُبُور

الأيَامُ فَيهَا واللهِ مَعْدُودَات

أمَا تَوَدُونَ أنْ تَكُونُوا أنْصَارا؟

يَذْهَبُ النَاسُ بِبَعِيرٍ وشَاة

وتَذْهَبُوا أنْتُم بِرَسُولِكُم الكَرِيم

عليهِ مِنْ رَبِهِ أزْكَى تَحِيَات

وأفْضَل صَلَوات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

العُمُرُ انْقَضَى، ولَى، رَاح، فَات

ولم يَبْقَ إلا اجْتِرَار ذِكْرَيَات

لأضْغَاثِ أحْلامِ مَنَامٍ شَبَابِيَة مُتَورِدَات

أغْوَتْنَا بأنّا نُنَظِف الكونَ منْ أيتُها تفاهَات

ونَنْهِي ما يَنْتَابُ الإنْسَانِيَة من مآسِي عَذَابَات

لأنَنَا مُمَيَزُون مُسَخَرُون، أصْحَابُ رِسَالات

لَبِسَتْنَا بَنَاتُ أوْهَامِ مَاكِرَات

منْ رؤوسٍ خَاوِيَة إلى أقْدامِ حَافِيَات

في البَدْءِ، عِنْدَ حِمْلِنا لأرْفَعِ أوْسِمَة وشِهَادَات
في عُلوُمٍ وآدَابٍ وإنْسَانِيَات
ومِنْ بَعْدُ، عِنْدَ التِحَاقِنا بأرْقَى وِزاراتٍ وشَرِكَات
وعَوْدٌ على بَدْءٍ، عِنْدَ تَنَقُّلِنَا بَيْنَ عَواصِمِ قَارَات
تَتَدَلَى مِنْ أيْدِينَا حَقَائِبُ سَمْسُونَايْتَات
نَنْتَعِلُ أحْذِيَةً إيطَالِيَة، نَلْبَسُ بِدَلاً، ونَرْبُط كَرَافِتَات
نَتَكَلَم بِلِسَانٍ أعْجَمِي يُجِيدُ التَحَدُثَ بِشَتَى لُغَات
ما ظَنَنَا أنّ أحْلامُنَا تَخَارِيفٌ لَعُوبَاتٌ كَذُوبَات
معَ الأيَامِ تَحَوَلْنّ إلى هَواءٍ، خَواءٍ، مَنْفُوخِ بَالُونَات
ولِعَنْتَرِياتٍ ما قَتَلت ذُبَابَاً ولا أخَافَت مِعْزَات
ما غَيَرَت حَالَ بِلادٍ وعِبَادٍ، بلْ أزَمَاتٌ بَعْدَ أزَمَاتً
ومَا حولَت مِنْ سَالِبٍ إلى مُوجِبٍ طَاقَات
ولا طَوَرَت ولا نَمّت لهُم قُدْرَات ومَهَارَات
وإنَمَا تَركتْهُم على سَجَايَا بَغِيضَات
يَخُوضُون في لَغْوِ كُورَة وجِدَالاتٍ سَخِيفَات
يَسُفُونَ تُمْبَاكاً يَتسَامرُون على أنْغَامِ إشَاعَات
ما وفَرَت لهُمْ أكْلاً، شُرْباً، دواءً، مَلْبُوسَات
ولا وَرَقاً، أقْلامَاً، كُتُبَاً، كُرَاسَات

ولا مَهَدَت سُبُلاً لبِنَاءِ أفْكَارٍ نَيِرَات

ومَعْرِفَة حُقُوقٍ وأدَاءِ واجِبَات

ولا حَارَبَت تخلفاً، جهلاً، فقراً جُذُورُها ضَارِبَات

ولا أدْخَلَت رَفَاهِياتٍ زَائِفَات

في عشش قُرَى جَائِعَةٍ مَدْفُونَات

وفي أطْرَافِ مُدِنٍ مَطْحُونَةٍ مُحَنَطَات

حَيْثُ الفَقْرُ يَتَفَجَرُ عَوَزَاً دَرَنَاً وَوَبَائِيَات

الأطْفَالُ دُمَى قَدِيمَة على الطُرقِ مَرْمِيَات

على وُجُوهِهِم ظِلالُ ابْتَسامَاتٍ خَجُولَات

مِنْ أبْسَطِ مَعَانِي الفَرَح فَارِغَات

أوْهَامُنَا كَمُ خَيْبَاتٍ وإخْفَاقَاتٍ مُتَتَالِيَات

مَلأت قُلوبَ النَاسِ خَوفاً إحْبَاطاً وعَدَم مُبَالَاة

مِنْ بَعْدِها صارُوا حُطَامَ سُفِنٍ غَارِقَات

عَصَفت بها الأنْواءُ في أعْمَاقٍ سَحِيقَات

بُحُورُ تِيهٍ ظُلُمَاتٌ فَوْقَ ظُلُمَات

ولمْ تَبْقَ إلا عُيُونٌ رَمَدَتْهَا عَوَادِي عَادِيَات

مُحْتَاجَة أغْشِيَة ضَمَادَات ونَظارَات

وإدْمَانُ القِرَاءة في صَفَحاتٍ مُقَدسَات

مِنْ كِتَابٍ نَمَقَتْهُ سُطُورٌ حُرُوفٌ وكَلِمَات

في بَلُورِ الأَرْوَاحِ مُتَلأْلِئَات

يُذَكِرْنَ ًدوْمَاً بِيَومِ الْنشُور

يومِ الَنفْخِ في الصُور

وبِالنَهْلِ مِنْ أنْوارِ النُور

في الظُلْمَة، والضُحَى، والبُكُور

وبَذْرَ المُحَسَنِ مِنْ البُذُور

ورِعَايَتَها بِطَرْدِ طُيُورِ الشُرُور

بِمُكَافَحَةِ طَفَيْلِيَاتِ الكِبْرِ، والغُرُور

بِرَشِها بِمُبيدٍ قَاتِلٍ ما بِهِ عِلاَت

لا يَتْرُك مِنْهَا جَراثِيماً وفَيْرُوسَات

قَوارِضَ، حَشرَاتٍ وآفَات

تُكَدِر على النَاسِ الحَيَاة

تَجْعَلُهُم يَتمَنونَ المَوْتَ قَبْلَ المَمَات

* * * * *

يا صحاب ...

أيامنا الحلوة ولت
مساحاتها اضمحلت في ذواكر نخرة
تساقطت كأوراق خريف ميتة يابسة
كريش طير نتفته صقور كواسر جائعة
كدموع حسرة نزفتها مآق لعيون باكية
تحولت موسيقاها إلى نحيب، وجيب، عواء، وعويل
إلى لحن جنائزي كئيب رتيب ممل طويل
ما فيه من سكينة نفس وراحة بال إلا نذر يسير
لا يغير حالاً لأنه قليل، بل أقل من القليل

* * * * *

يا صحاب ...

إن عزّ في دُنيا لِقاء
وتَسَللت خلسةً قَبْضَةُ مَوتٍ
ما بين إشْرَاقِ صَبَاحٍ وذُبُولِ مَسَاء
والتَفَتْ ساقٌ بسَاق وحمّ قَضَاءٌ وانْقَطَعَ رجاء
خلوهُ باقٍ بينكم في كلِ عامٍ عَهْدَكُم، عَهْدَ لِقَاء
تنسموا أريجَ نيلٍ، في هدْأةِ ليلٍ، ما بين مَغرِبٍ وَعِشَاء
وارْشُفُوا من رحيقِ حبٍ وداً صافياً وفاءً وإخاء

* * * * *

يا صحاب ...

دُنْيَانَا تَاللهِ عَجِيبَة

أحْوالُنا جدُ غريبَة

أيَامُنَا تمْشِي هُويْنَى كما غَمَامٌ في فَضَاء

مُحَمَلاتٍ بأهَازِيجِ فَرَحٍ ودُمُوعِ حُزْنٍ وشَقَاء

حِينَاً تَبْسُمُ وحِينَاً تُشْمِت بنا الأعْدَاء

وتَتلوُنُ كَأنْثَى حِرْبَاء

وتَمُوء كِقطةٍ سَودَاء

وتَتلَوى كحَيةٍ رَقْطَاء

وَتذْرِفُ مُشْفِقةً علينا دُمُوعَاً شَلَالات

وتُوَلْوِل في حُرْقَةِ نَائِحَات

مولولاتٍ بَاكِيَاتٍ نَادِبَات

مُومِسَاتٍ سَافِرَاتٍ وجِنِيَاتٍ عَابِثَات

هَمُهُنّ أنْ يُزَيِنّ شُرُوراً آثَامَاً وسَيِئَات

ويُقَبِحْنَ فضَائِل وحسَنَات

* * * * *

يا صحاب ...

اشْكُرُوا المَولَى الذي أوجَدَ بَراهِينَ وآيَات

وأنزَلَ قرآنَاً وإنجيلاً وتَوراة

وألّفَ بينَ قُلوبٍ مُتَنافرات

فأصبَحتُم بِنِعمَتِه إخوَاناً بلا مُشَاحَنات

تَتَنادونَ خِفَافاً وثِقَالاً عند المَلمَات

عند كُلِ ابتِلاءاتِ

تأتِي بِلا نُذُرٍ أو مُقَدِمَات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

دَقَ نَاقُوسُ الخَطَر في أسْماعِنا عدةُ مَرَات
في مَشْيِنا خَلْفَ مِئاتِ جَنازات
وبعْدَ نجَاتِنا منْ مَصَائِبٍ حسِبْنَاها بَلاَيا مُهْلِكَات
وبعد خُرُوجِنا سالمِينَ من بين براثِنِ أمراضٍ فَاتكَات
ولكن أُبلَغُ الدَقَات ...
جَاءت عِنْدَ اسْتِلَام أنْحَسِ خِطَابَات
التي قرأنَاها فِيما مضَى منْ سنوات
إنه خِطَابُ مَعَاشَات!!!
يَعنِي أنا سَنُصْبِحُ ذوي أقدامٍ مُتورِمَات
تَحْفَى وتَدْمى من سعيٍ لأشْوَاطٍ عدِيدَات
ما بين زَمْزَمَ مَكَاتِبَ مُدراءٍ وصَفَا مكاتِبَ مَرؤُوسَات
وجُوهُنَا سَتَلبَسُ أقْنِعَةَ مُدَاراةِ ومُجَامَلَات
تَبسُمُ غصباً عنْ أجدادِ وآباءِ واُمَهَات
في وُجُوهٍ شاحِباتٍ عَابِسَاتٍ كَالِحَات
تَكسُوهَا سَحَائِبُ تَنمُرٍ وتَجَهُّمٍ واستفزَازات
إنَهُ حَالُ نَافِذِينَ ونافِذَات
لا يُعِيرُون مَخْلوقاً أيَتُها نَظَرَات
وَلَو شُيُوخَاً يَمْشُون بسِيقانٍ مُتَخَشِبات
صُدُورُهم ضَيقَات، قُلُوبُهم مُنقبِضَات

ترانَا غُرَباء، من عُصُورٍ دَارِساتٍ بَائِدَات
أمَا صُدُورُنا الواسِعات وقلوبُنَا المُنشَرِحَات
تَراهُم صُوَراً مَقِيتَات مُنَفِرات
ما ألِفنَا مِثلَها علَى مَدارِ أزمِنَةٍ فَائِتَات
لأنّ تَوقِير مُسِنٍ ومُسِنَات
لا يَدخُل ضِمنَ سِلَعٍ بَائِرَات
مَعرُوضَة في أسواقِ سُوءِ معَامَلات
سَنَبني عَلاقاتِ وُدٍ واهِيَات عَابِرَات
مَعَ مُشَغِلِي آلاتِ تَصوِيرِ مُستنَدات
مَبثُوثَة داخِلَ أكشَاكٍ ومَكتَبات
مُتَدثِرة بِتُرابٍ وغُبَارٍ أمَام مِحلَات
وفي نِهَايةِ المَطَاف عِندَ جَردِ للحِسَابَات
المُحَصَلة أنّا حَمقَى ذَوِي عَاهَات
حَسِبنَا أنّ ما قَدمنَا من أيامٍ عَامِرَات
خَضرَاواتٍ نَضِرَاتٍ مُورِقاتٍ مُزهِرات
سَيكُونُ لهَا ثَمَنٌ مُكَافِئ فَوقُه (بُوسَات)
يَعِين فِيمَا هو آتٍ من أيامٍ عَجفَاوَات
ذابِلاتٍ عَارِياتٍ يَابِسَات
ما حَسِبنَا أنَهُم يُرِيقُونَ ماءَ وُجُوهٍ مُعَفرَات
علَى أعتَابِ مَكاتِبٍ فَارِهَات

فَهُم سَادَة، أصحَابُ سَعَادة، بَاشَاوَات
يَمشُونَ على نجِيلٍ طَواويَساً مُذَهبَات
يُصَعِرُونَ خُدُوداً مُتورِمَات مُنتَفِخَات
تُبَاً لنَا، نَجرِي خَلفَ سَرابٍ اسمُه استِحقَاقَات
لا نَدرِي أهيَ مُجَنبَة مُجمَدة أم مُصَفرات
وفي نِهايةِ المَطَاف، نَحنُ بُلهَاء...
نَسمَعُ معسُولَ كَلَام، نَحمِلُ صُوَرَ خِطَاباتٍ جَوفَاء
لا جَدوَى مِنهَا، لكِنَنا أغبِيَاء
لا نُمَحِص في الأشَيَاء
غَرقَى.. نَستَجدِي عونَاً من حَجارةٍ صَمَاء
لا تِجلِب سِوَى شَقاءً وبَلاء
حَياتُنا تساقطت كوَرِقِ أشَجارِ شتَاء
ما عَادَت ذاتَ مَحاسِنٍ ومُتَعٍ وهَنَاء
وطَربٍ ولَحنٍ وغِنَاء
وإنّمَا أطَيافٌ شَاحِبَة لأمَانٍ مَيتَات
ذابَت كثَلجٍ في مِيَاهٍ دَافِئات
وما عُدنَا قادرين على إيتَاءِ أفعَالٍ أو إبدَاعات
زيادَةِ حَرفٍ على ما خَطَ الأُوَلُ من كِتابَات
زيادةِ إنجَازٍ على ما تَركُوا من آثارٍ بَاقِيات
مآلُنَا أنْ نُدمِنَ الاتِكَاء تَحتَ ظِلِ أشجَارِ بِنايَات

نَهِيمُ مَعَ خَيالاتٍ مَحضَ ذِكرَيَات
صُوَرٍ مَشرُوَخةٍ في القِدَمِ مُوغِلات
ما عَادَت تَهُزُ وتُشجِي بَل مُضحِكَاتٍ مُبكِيَات
لا تُحَرِك شَعَرَةً بَيضَاء مِمَا بَقِيَ منْ شُعَيرَات
نَتَسَلى نَقرَأ غُثاءً مكتُوباً على صَفَحاتِ مَجَلات
نَمضَغ في خَدَرٍ وغَبَاءٍ وِرِيقَات (مُورينقَا(*[٨]) وقَات
نَمتَص بِمِزَاجٍ رائِق رَحِيقَ تُمبَاكٍ عَصَبَ حَياة
نُدَخِن شِيشَة.. نَشرَب عَسَل
زيت وَلَد.. خِروِع.. شَاي أخضَر، شِيح، حَرجَل
نَبلَع حُبُوب حَنظَل وخَردَل
نَلهَث ورَاء عَشَابِين ودَجَالِين من كُلِ مِلَلٍ ونِحَل
نَبحَث عن إكسِيرٍ مَفقُود يُعِيدُ مَخصِي فَحَل
يعيد شَبابَا أبعَد مِنْ زُحَل
* * * * *

٨ : نبات يعتقد أهل السودان أن له فوائد عظيمة.

يا صِحَابُ ...

أين (إجلالٌ) و(سناءٌ) و(نعِيمة) و(سمِيرة)(*[٩])، حَسْنَاواتٌ فاتِنَات

مَلأنَ دُنْيَانَا مَبَاهِجاً ومَسَرَات

بخُدُودٍ مُتَوَرِداتٍ وثُغُورٍ باسِمَات

وبِقُلُوبٍ كُنّ على الحَيَاةِ مُقْبِلاتٍ مُنْشَرِحَات

أين (ابن عُمَرٍ) و(مَهدي) و(عَبَاس)(*[١٠])

عَمَالِقَةٌ تَاجٌ للنَاس

تقدموا صُفُوفَ شَعْبَان

هتفوا في وَجْهِ الظُلْمِ والطُغْيَان

(لنْ نَرْكَعَ، لنْ نَذِلَ لأيِ جَبَارٍ خَوَارٍ هَوَان)

لا اِنْسَحبُوا، لا فَرُوا، لا نَكَسُوا لافِتَاتٍ ورَايَات

ولا فَكَرُوا في رايحَاتٍ وجَايَات

---

٩ : أسماء زميلات الفرقة اللائي توفاهن الله.

١٠ و١١: أسماء زملاء الفرقة الذين توفاهم الله

أين (عطيةٌ) و(طيبٌ) و(فاتِحٌ) و(استوبرٌ) و(حَمَدُ نِيل)(*١١)

ما رأيْنَا ولا سَمِعْنَا منهُم إلا مُسْتَظْرَفٍ جَمِيل

في أيَامٍ حُلْوَاتٍ خَالِدَات

لَمْ تَزَلْ في سِوَيدَاءِ أفْئِدَتِنا في حِفْظٍ وَصَونٍ باقِيات

مَضُوا كَمَا تمضِي شُهُبٌ بُرُوقٌ وَرُعُود

رحلوا من مَجَاهِلِ مُبْتَدَأ إلى غَيَابَةِ رُجْعَى ثُم مُنْتَهَى خُلُود

إما في ماءٍ مَسْكُوبٍ وَظِلٍ مَمْدُودٍ مع أصْحَابِ اُخْدُود

في حُبُورٍ ونَعِيمٍ دائِمٍ لا مَحْدُود

وإما في سَمُومٍ وحَمِيمٍ لِجَهَنَمَ حَطَبٌ ووقُود

مع فِرْعَونَ.. هامانَ.. نِمْرود.. وعادٍ وثَمُود

أهْلُ غُرُورٍ ونُكْرانِ وجُحُود

* * * * *

يا صِحَابُ ...

كُلُنَا على الدَرْبِ سائِرون

ومن نَفْسِ كأسٍ مُرٍ حَنْظَلٍ زُؤامٍ شَارِبُون

ومن على وجْهِ الأرْضِ حتماً مُغَيَبُون

ما منا من هو خالِدٌ في عالَمِ مَملُوءٌ تَفَاهَات

مَوبُوءٍ بحُرُوبٍ طَاحِنات

وبجَهَوياتٍ وعُنْصُرياتٍ وقَبلِياتٍ بَغِيضَات

وبكَوارِثٍ وثوراتٍ ونِزَاعاتٍ ومَجَاعات

رائِحَةُ المَوتِ تَزْكُمُ أُنُوفاً وَتمْلأُ بُيُوتاً وَتَسُدُ طُرُقَات

وتُسَمِمُ أبواباً ونوافِذاً لدُورٍ خَرِبَاتٍ مُهْمَلات

لا تَتْرُك حتى ما في جُلُودِنا من مَسَامٍ دَقِيقات

قريباً، حتماً سَنَرْحَلُ إلى عالَمٍ غَيْبِي

عالَمٍ فَسِيحٍ مَدِيدٍ خالِدٍ سَرْمَدِي

لا أُفُقٌ له، ولا مَدٌ وَجَزْرٌ، ولا جُزُرٌ وواحَات

ولا شُطُوطُ لبداياتٍ ونِهَايات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

لسْنَا ملائِكَةٌ أخْيَارٌ أطْهَار
لا نَعْصِ اللهَ ما أمَرَنا ونُسَبِح بِحَمْدِهِ ليلَ نَهَار
ولا نُقَارِب صَغَائِرَ وكَبَائِرَ كُفَار
ولسنَا شَياطِينٌ أبَالِسَةٌ أشرَار
نَفسِدُ في الأرْضِ يَمِيناً وَيَسَار
ونُغْوِي الناسَ حسداً ليدخُلُوا غَيَاهِبَاً مُسَعَرَاتٍ
من بوابَاتٍ حُفَت بإشْباعِ شَهَواتٍ مُحَرَمات
وإنما بَشَرٌ بِقُلُوبٍ بينَهُما مُتَأرجِحَات
مُخَيَرُون نَتَقِي ونَرتَكِب زِلَات
وبرحمة اللهِ إذا ما فَعَلنا الخَيرَاتِ أهْلٌ للجَنَات
ندْخُلَهَا ونحْنُ من النَارِ على بُعْدِ خَطَوات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

حياةُ كُلٌ مِنّا حِكَايةٌ طَويلة
روايةٌ من أعجَبِ رِوَايات
فيها لَحظَاتٌ مُرَةٌ وأُخَرُ جَمِيلَة
فيها مُنَغِصَاتٌ ومُفرِحَاتٌ ومُسَلِيَات
فيها عِبَرٌ تُضِيءُ لذَوي هِمَمٍ نَبِيلَة
مَسَالِكَ غاياتٍ عالِياتٍ سَامِيَات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

صَدِقُوني، عالَمُنا المجْنونُ هذا

لن يَتَذكرَ منّا أحَداً

لن يَتَذكر من فَقَدَ ذاكِرةً أو شُلّ أو مَات

من ماتَ يَتذكَرُهُ فقَط أهْلٌ وأحِبةٌ

وبؤساءُ وفقراءُ من أصحابِ حاجَات

ربَطتْهُم بهِ أنْبَلُ وأعْمَقُ عَلائِقٍ وصِلات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

مثلما في المبتدأ لرّحِمِ الأمِ ضَمَةٌ

في المُنْتَهى للْقَبْرِ رّحِمِ الأرضِ ضَمَةٌ من أعْنَفِ الضَمَات

إما أن نَكُونَ في حُفْرَةِ نارٍ تَلْفَحُ وُجوهَنَا شَواظٌ مُحْرِقَات

أو في روضةٍ من رياضِ جِنَانٍ تَرِفُ علينا نسائِمٌ طَيِبات

والأمْرُ في نِهايَةِ المَطَاف عَائِدٌ إلينَا!

أيُ النُزَلينِ نَحْجِز لِسَكَنِنَا بعْدَ مَمَات

* * * * *

يا صِحَابُ ...

إن عزّ في دُنيا لِقاء
وتَسَللت خلسةً قَبْضَةُ مَوتٍ
ما بين إشْرَاقِ صَبَاحٍ وذُبُولِ مَسَاء
والتَفَتْ ساقٌ بِسَاق وحمّ قَضَاءٌ وانْقَطَعَ رجاء
خلوهُ باقٍ بينكم في كلِ عامٍ عَهْدَكُم، عَهْدَ لِقَاء
تنسموا أريجَ نيلٍ، في هدْأةِ ليلٍ، ما بين مَغرِبٍ وَعِشَاء
وارْشُفُوا من رحيقِ حبٍ وداً صافياً وفاءً وإخاء
واذْرُفوا على من رحلَ دموعاً واسْكُبوا عَبرَات
وأدعو له رباً غفوراً رحيماً بصالحِ دَعَوات
أن يكونَ من الذين تبكي عليهم أرضٌ وسماوات
وتُفَتَح لهُم أبوابَ جنات
ويقول لهُم خزنتُها:
سلامٌ عليكم، طبتُم فادخُلوها خَالِدين
في زُمْرَةِ صَالِحينَ وصَالِحَات
وصديقينَ وصِدِيقَات وتَائِبينَ وتَائِبَات
ويَغْمُرُهُم بفيوضٍ مِنْ نُورٍ قُدُسِي
ويُكْرِمُهُم بوافِرِ نِعَمٍ وجَزيلِ عَطايَا وهِبات

* * * * *

مطر الخريف

مَطَرُ الخَرِيف الليلَة صَبـــَـه

والسِيل جَرَى في وادِيهُو كَبَه

يا أهلِي هُوي يا أهلَ المَحَبـَة

كان شُفتُو حَالـــــــــِـــــــي

دَمعِي زي قَطرَ النـــَـــــدَى

نَقَط حَبَه، حَبـــــــــَـــــه

وقلِيبِي، من صـــَـــــــدرِي

فرّ وطَار أخَدلُه خَبـــــــَـــه

قُت ليهُو يا صاحبـــِــــــــي

خُوفِي عليك تَضهَب تَهـــِـج

تَمشِي دامِر المَجـــــــذُوب

أو تَغشَى فُقَرَا الدَبـــــَـــــه

ردّ في حِنِيَه قـــــــَـــــال:

قَصدِي بارا ومنها أبقَبـــَـــه

بَلَد سَمحَة حُلـــــــــــَـــوه

بِدُون نَاسَه وأهَلـــــــــــه

لا بِنسَوى لا بنَبقـــــــــــه

رَديت عليه أوعَك تَغِيـــــب

وتزَوِد دَخلَه ومَرقـــــــــه

وتِكَتِر نَمَة ونِقـــــــــــه

بِسرَاع تَعالَ ورينـــــــــي

كيف كان الحـــــــــال

وكيف كانَت اللُقيـــــــا

وكيف كانت الفَرحـــــــة

وكانت اللَمَه والصَفقـــــه

غَاب وعَاد وقـــــــــال:

الأحِبَة حَافظِين الوُد والوَفـَا

لا جُحُود لا نُكرَان لا جَفـَا

حُب، وُد، فَرَح وصَفـَــــا

يا مَجنُون أرقُد قَفـــــــا

وسَجَى ليلُ ودّان..[١٢]

أسرَجتُ الليلَ، نَزَعتُ الجِلدَ..
أطلَقتُ لأجنِحَتِي العَنَان..
غَدَوتُ خَفِيفاً، رَشِيقَاً، طَلِيقَاً..
كَطَيفٍ، كَحُلُمٍ، كَلَحنٍ مِن الألحَان..
الجَاذِبِيَةُ غَابَت، أصبَحَت في خَبَر كَان..
ومَا عادَ للزمَانِ أو المَكَانِ عليّ ُسلطَان.
انسَللتُ من شَرنَقَةِ طِينِي..
غَشِيَنِي نُورٌ َسمَاوِي..
مسّ شِغَافَ نَفسٍ، رُوحٍ، ووِجدَان..
ذَابَت كمَا ثَلجٌ أغلاَلُ تُكَبِلُنِي..
مَا عُدتُ أدري كُنهِي..
أمَلاكٌ أمْ ما زِلتُ إنَسان..
حَلَقتُ فَوقَ هَامَ نَخلٍ..
نَخلِ بَسَاتِين وَدّان..
تَغزَلتُ في نَضِيدِ طَلَعٍ..
طَلَعِ نَخِيلِ ودّان..
لثَمتُ كَرزَ ثُغُورِ تَمرٍ..
تَمرِ نَخِيلِ وَدّان..
شَمَمتُ أنفَاسَ عِطرٍ..
عِطرِ َ نَخِيلِ وَدّان..
طَرِبتُ لشَقشَقَةِ طَير..
طَيرِ نَخِيلِ وَدّان
* * *

[١٢] ودان: مدينة واحة في ليبيا عمل الشاعر أستاذاً بجامعتها ردحاً من الزمن.

نخلةً مِنْ بَعدِ نَخلَة..
مِنْ نَخَلاتِ دُرُوبِ.. عَرَصَاتِ بُيُوتِ ودّان..
نخلةً مِنْ بَعدِ نَخلَة..
مِنْ نَخلاتِ عُيُونِ أطفَالِ.. صَبَايَا.. وصِبيَانِ ودّان..
نخلةً مِنْ بَعدِ نَخلَة..
مِنْ نخَلاتِ قُلُوب حَرِيم، وشُيُوخ ودًان..
هَتَفتُ بِهَا..
مِنْ أينَ لِتَمرِكُنَ طَعمَ شَهدٍ وسُكَر؟
مِنْ أينَ حَلاوَة، طَلاوَة، طَرَاوَة، نَداوَة..
رَونَق، جَمَال، بَهَاء، ونَضَار..
يَخطِفَ اللُبَ ويَسحَر..
مَع أنّ شَرَابكُنَ مِلحٌ أُجَاجٌ عَكرَان..
وطَعامَكُنَ لا يَسُدُ رَمَق جُوعَان..
فإذَا الجَدَائِلُ يَتَراقَصنّ فِي غَنَجٍ مَلِيحَاتٍ حِسَان..
ويَتَمَايلنَ فِي زَهوٍ أخَاذٍ فَتَان..
ويَتغَنينَ في دَلالٍ غَيرِ مَعهُود..
ضَنَنَ بِهِ على مَسَامِعِ آبَاءٍ وَجُدُود..
فِي لَحنٍ عَذبٍ مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُود..
بَثَ وَسَنَاً في عُيُونِ نَاعِسٍ وُرُود..
وسَكَبَ خَجَلاً في خُدُودِ خَشَبِ عُود..
تَرَنَمَ نَايٌ وكَمَان..
وَاهتَزَت أوتَارُ قَلبٍ حَيرَان..
هَمَسنَ في حُبُور: إنَهُ سِرٌ مِنْ أسرَارِ رَحمَن..
يُخرِج مِنْ البَحرِ لُؤلؤاً ومَرجَان..
ومن الحب عَصفاً ورَيحَان..
أودَعَهُ فِينَا.. نَحنُ ذَوَاتَ أكمَام.. نَخلِ ودّان.
هَمَستُ مُتَبتِلاً في خُشُوعِ عُبَادٍ وَرُهبَان..

وَدَاعٌ، وَدَاع.. يَا نَخلَ ودّان..
يَا أحلَى نَخلٍ اكتَحَلَت بَرُؤيَاه عَينَان..
رَحَلتُ وهَدِيتِي فسيلةً أغرِسُهَا في أيتُها مَكَان.
* * * * *
حَلقتُ فَوقَ الرِمَال..
رِمَالِ صَحرَاءِ ودّان..
تَكسُو أدِيمَاً بِيَاقُوتٍ، لؤلُؤٍ، ومَرجَان..
تَتمَوَجُ فَوقَهُ أمواجُ رمالِ كُثبَان..
يَرقُد تَحتَها مُعَززَاً مُكَرَماً زَيتُ قَارٍ وقِطرَان..
هَتفتُ: مالِي أرَاكُنّ يَا رِمَالَ السَعدِ شَاحِبَات..
علَى تُخُومِ خِيَامٍ مُشَتَتات..
تَرَاقَصَت حَبَاتُ الرِمَال..
انفَرَطَ عِقدَهُنَ تَبَددَنَ في كُلِ مَكَان..
تَغنَينَ بِلَحنٍ حَزِينٍ طَنَان..
دَفقُهُ شَوقٌ، حَنِينٌ، شَجَنُ وَلهَان..
هَمَسنَ: مُنذُ سَالِفِ الأيَام وغَابِرِ الزَمَان..
بِسَاطُنَا للزُهَادِ محَارِيبٌ وَمَعَابِد..
بِيعٌ كَنَائِسٌ ومَسَاجِد..
يَتَفَكَرُونَ مِنْ فَوقِنَا في (الإبِلِ كَيفَ خُلِقَت)..
(الأرضِ كَيفَ سُطِحَت)..
(الجِبَالِ كَيفَ نُصِبَت)..
(السَمَاءِ كَيفَ رفعت)..
يُسَبِحُونَ في ذُلٍ وامتِنَان..
ثُمَ يَسجُدُونَ لِخَالِقٍ بَدِيعٍ مَنَان..
أنّى.. ثُمَ أنّى لَهُم اليَومَ أنْ يَسألُوا عَنّي..
أو يَدنُوا مِنّي..
يَتَنَادَونَ إلى كُلِ مَكَان.. إلا هَذا المَكَان..

هُنَا صَفَاءٌ ونَقَاءٌ.. هُناكَ تِيهٌ وَتَوهَان..
هَمَستُ مُتَبتِلاً في خُشُوعِ عُبَادٍ وَرُهبَان..
وَدَاعٌ، وَداع.. يَا رِمَالَ ودّان..
أحلَى رِمَال اكتَحَلَت بِرؤيَاها عَينَان..
رَحَلتُ وَهَدِيَتِي رَملٌ بِالمَاءِ مُشَبَعٌ رَوِيَان.

* * * * *

حَلَقتُ فَوقَ قُنَنِ الجِبَالِ..
جِبَالِ (غَزّي).. جِبَالِ ودّان..
التِي تَحضُنُ المَدِينَة..
كما الأم في الشتاء تَحضُنُ وِلدَان..
تَمنَحُهُم دِفئاً، حُبَاً، وحَنَان..
(غَزّي) تَحرُسُ مِنْ أعَادٍ ودّان..
مِنْ أنْ تَمَسَها ألسُنٌ بِزِلَةِ لِسَان..
أو عُيُونٌ تَسحَرُ مَا شِيدَ مِنْ عُمرَان..
هَتفتُ في صَوتٍ رَقِيقٍ رَنَان..
مالِي أرَاكُنَ يَا جِبَالَ سَعدٍ عَصِيَات..
لا يَعلَمُ سِرَكُنَ إنسٌ ولا جَان..
حَامِدَاتٍ، تُسَبِحنَ في كُلِ آن..
أخرجنَ مَا فِيكُنَ مِنْ أسرَارِ زَمَان..
فَضْفِضْنَ، أنَا وأنتُم صِنوَان..
هَزَزنَ صُخُورَهِنَ..
تَطَايرَ حَصَى، غُبَارٌ، ودُخَان..
خِفتُ يَتَحَولَ إلى زِلزَالِ وَبُركَان..
أو يَطبِقنَ كُتُفِهِنَ عَلى منْ فِي ودّان..
قُلنّ في زَمجَرَةٍ مُخِيفَةٍ تَقشَعِرُ مِنهَا أبدَان..
مَا للقُلوبِ صَارَت أشَدُ منَا قُسوَة..
وإنّ مِنْ صُخُورِنَا لمَا يَتفَجَرُ منهُ أنهَار..

وَلَما يَشَقَّقُ فَيَخرُجُ مِنهُ مَاء..
(وَلمَا يَهبِطُ مِنْ خَشيَةِ الله)..
الواحِدُ الأحَدُ الدّيَان..
هَتفتُ: يَا جِبَالُ مَا عَادَ في الأرضِ ثَمَةَ مَكَان..
يَخلُو مِنْ حَياتٍ، وعَقَارِبِ جُورٍ وطُغيَان..
النَاسُ مَا عَادُوا هُمُ النَاس..
يَقنَعُونَ بِقَليلٍ فَان..
طَمَعَاً في نَعِيمٍ لا يَشُوبُهُ نُقصَان..
هَمَستُ مُتَبتِلاً في خُشُوعِ عُبَادٍ وَرُهبَان..
وَدَاعٌ، وَدَاع.. يَا جِبَال ودّان..
يا أحَلَى جِبَال اكتَحَلَت بِرُؤياها عَينَان..
رَحَلتُ وهَدِيتِي حِفنَةُ حَصَى عَجِيبَة ألوَان.

* * * * *

طِرتُ إلى حَيثُ يَرقُدُ شتَاءٌ في سُبَاتٍ مُوسِمِي..
وَجَدتُه مُندَسَاً في أغطِيَةٍ ثَلجِيَةٍ بَيضَاء..
يَرتَجِفُ مِنْ شِدّةِ بَردٍ زَمْهَرِير..
هَتفتُ: مَالَكَ يَا بَردَ السَعدِ كَرِيشَةٍ في مَهَبِ رِيح..
انتَفَضَ، تَطَايرَت حَبَاتُ طَلٍ وَنَدَى في هَوَاء..
تَنَاثَرَت أشِعَةُ قَوسِ قُزَحٍ في فَضَاء..
هَمَسَ في صَوتٍ مُسَهَرٍ نَعسَان..
يَا زائِرِي، الصَيفُ يَصُبُ حِمَم نِيرَان..
يُصلِيكُم نَهارَاً بِحَمِيمٍ آن..
مَهمَا تَتحَايَلُون فَاتَ فَوَات..
لَنْ تَنُومُوا أبَدَاً فِي هَنَاءٍ وَسُبَات..
لنْ أنسَاكُم، أزُورُكُم ليلاً..
أهدِيكُم ألطَفَ نَسَمَات..
هَمَستُ مُتَبتِلاً في خُشُوعِ عُبَادٍ وَرُهبَان..

وَدَاعٌ، وَدَاع.. يَا شِتَاء ودّان..
يا أحلَى شِتَاء اكتَحَلت بِرُؤيَاه عَينَان..
رَحَلتُ وَهَدِيتِي كُرَة ثَلجٍ كَالبَلُورِ لَهَا لَمَعَان.
* * * * *
تَعِبتُ مِنْ القِيل والقَال، واللَفِ والَدوَرَان..
تَاقَت أشوَاقِي لرَاحَة..
هَفّت إلى أستَارِ عَرشِ رَحمَن..
الذِي جَعَلَ لَيلاً ونَهَاراً يَتَعَاقَبَان..
وشَمسَاً وقَمَراً بِحُسبَان..
وخَلَقَ إنسَانَاً عَلَمَهُ بَيَان..
أمّنتُ الهَدايَا أكبَرُ دَوَارٍ فِي قَلبِ ودّان..
بَعدَ بُرهَةٍ التَفَتُ لوَرَاء..
فَإذَا مَكَانٌ لَيسَ هُوَ مَكَان..
الفَسِيلَةُ نَخلَةٌ سَامِقَةٌ تَتَمَايَلُ جَدَائِلُهَا فِي فَضَاء..
الحَمَامَةُ فَوقَ عُشٍ جَنَاحَاهَا يَخفِقَان..
مِنْ مِنقَارِهَا تَتَدَلَى سِترَةُ حَرِير..
مُنَمَقَةً مُوَشَاةٍ بِنُور..
عليها كتبت سطور..
(اللهُمَ تَحفَظ زَهرَةَ بِلدَانِ..
واحَةً وَارِفَةً ودّان..
تُظَلِلُها بِنعمَتي أمَنٍ وأمَان).

درج الناس في هذه الأيام على التوثيق لمناسباتهم المفرحة بوسائل كثيرة منها المقروء والمرئـــــي والمسموع. ولما كانت رحلتنا في يوم الجمعة ببستان من بساتين ودَان بتاريـــــخ ٢٠١٥/٦/٥ رحلةً مشهودة وغيـــــر عادية - من فاتته فقـــد فاته خير كثير- فقد أحببت أن أوثق لها شعراً.

رِحلـَـة

اليُوم يَا حَبَايِبنـــــــــــا

لمَتنَا جَنَة مِنْ جِنـــَان ودّان

نَخِيلُها جَنـــــَـــاهُ رَطبٌ دَان

فِيهَا جَمَالٌ أشكَال ألـــــوَان

شَرابُنَا مَحَبَة مَليَانَة حَنـــَان

وزَادنَا مَحَنَةْ أهلِ سُـــودَان

ويَلا يَا حَبـــــــــــَـــــايِبنَا

نِغَرِد سَوَا لنَخِيـــــــل ودّان

****

يَا فَيصَل ويَا أبُو عَابـــــدَة

زِيدُونا حَبَة شَيَة كَمـــــــَان

ويَا حَسِيب دَنـــــــــــدِن

بِأحلَى وأرَقِ ألحـــــــَـــان

ويَا الطَيِب شَبَابنَا طَرُونـــَا

أيَاماً حُلوَة أيَام زَمـــَـــــان

ويَلا يَا حَبَايِبنـــــــــــَـــــا

نَتَغَزَل في نَخَيـــــــلِ ودّان

****

سُبحَان مُبدِع فنـــــــــان

أدّانا وأدّانا بِلاَ نُقصـــَـــان

مَا مِنّا إلَا مُولَهٌ هَيمـــــَان

بِنَشوَةٍ فَرحَانٌ طَربـــَـــان

ثُمَ افتَرَقنَا، كأنّا لا كُنـــّـــا

ولا مَا كَان كـــــــــَـــان

ويَلا يَا حَبَايِبنـــــــَـــــا

نُوَدِع نَخِيـــــــــل وَدّان

وهل من عُـودَة تَانِي وتَاني

إلى هَذا المَكـــَـــــــان

ولِينَا لَمَـة تَانِي وتَانـــِـي

في أرحَب أجمَل مَكـــَـان

ودّان.. ودّان.. ثـــُـمَ **ودّان**

زار دارنا مع صلاة الفجر لص لا أظنه من النوع الظريف. اكتفي فقط بسرقة جهاز حاسوبي الشخصي وذهب في حال سبيله، لا أقول إلى غير رجعة لأن اللص من ديدنه الطمع فربما يحاول أن يعاود الكرة مرةً أخرى. غنم مني رفيق دربي العزيز الكاتم والحافظ والخازن لكل أسراري الشخصية، والمهنية، ولكل مؤلفاتي التي لم تر النور بعد. غلطتي الفادحة أن كل هذا الكم الهائل من المعلومات الذي كان مخاض سنين عجاف قضيتها في رهق وتعب لم تكن محفوظة في باطن أي من وسائل حفظ متاحة، ولهذا السبب تفاقمت مصيبتي، وخيبتي، وحسرتي. يقع اللوم من جهة علي، ومن جهة ثانية عليه، ولا أدري أينا يستحق اللوم أكثر من الآخر.

جاءت هذه القصيدة بمثابة ولادة لردة فعل نفسية طبيعية على ما جرى، وقلبي مازال ملؤه تفاؤٌ بأن رفيق دربي سيعود لي يوماً ما، إن لم يكن في الحقيقة فيكفيني أن يكون ذلك في شطحات خيالي، لأنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون.

الهدف من وراء نشر هذه القصيدة هو إسداء النصح لغيري حتى يأخذوا بكل أساليب الحيطة والحذر التي ربما تدرأ عنهم مكامن إحباط وفشل، وتجعل بياناتهم ومعلوماتهم آمنة داخل حصن منيع. وتبعد عنهم لعنة جهاز حاسوب شخصي - أصبح لا غنى لحياتنا العصرية عنه- فهو إذا نجا من السرقة لا ينجو من التلف ومن قرصنة القراصنة العابثين.

رَفِيقُ الدَرْب

يا مَنْ كُنْتَ بالأمْسِ هَا هُنَا..
تَحْتَ سَمْعِي وبَصَرِي هَا هُنَا..
بلوْنِكَ الأسْوَدِ الشَامِخِ.. كلَوْنِي أنا.
يا أيُها السِحْرُ..
الذي تَدَفَقَ نُورَاً، وضِيَاءً، وَسَنَا..
أنَارَ عُقُولنَا..
وَسَعَ فَضَاءاتِ آفَاقِنا.
يا أيُها اللُغْزُ..
الذي غَيَرَ حالَنَا..
وأحَوالَ مَنْ فَوْقِنا ومَنْ تَحْتنِا.
هذي بقايَاكَ..
غِطاؤكَ حقيبتُكَ، آثَارَنَا..
باقيةً معيّ ها هُنا..
تُذَكِرُنِي ما كانَ بالأمْسِ بينَنَا..
تُذكِرُني الأيَام والسِنينَ..
وكَيْفَ.. كَيْفَ مَرَتْ بِنَا..
مَرَتْ كَمَا تَمُرُ أحْلامُنَا..
لأنّ ما كانَ بيْننَا..
كانً أكْبَرُ مِنْ مَداهَا..
وَفَوْقَ بناتِ خَيالِنَا.

* * * **

ما عُدْنَا يا رفِيقِي..
خَليلينِ كَمَا كُنّا..
مَا عُدْنَا..
أليفَيْنِ كَمَا كُنّا..
نَمْضِي نَهَارَاً زُهَادَا..
لرحيق نثر وشعر نمتص ترددا..
ونمضي ثلثي ليلٍ عبادا..
أنفاسنا تضوع أذكاراً وأورادا..
وباقيه نمضيه سُهادا..
أسمعك أغلى ما عندي..
أدباً، فكراً، وفنا..
وتمنحني أغلى ما عندك..
كتماناً، حفظاً، وصونا..
يا رفيقي الحكمة كانت تدنو إلينا..
ما علينا سوى قبض وبسط مفاتيح يدينا..
الآن، وا أسفاه، سيشرونك ببخس أثمان..
لأنهم فيك زاهدينا..
وأما ثوبك المنسي..
سأشمه مِسكَ رياحينا..
عسى أن يردك ربي..
كما رد بصر يعقوب..
عليه صلاة وسلام وعلى نبينا..
* * * * *

يا زائر الفجر لو كنت تعرفنا..
أو تعي ما كان منّا..
لما قطعت حبلاً..
ربط طبقاً بشنّا..
هل تدري ما جرّ..
ما سويته فينا..
من بعده صرنا..
لا منْ يواسينا..
لا منْ ينادمُنا..
ولا من ينسينا.
أدعو الله يشفيك ويشفينا..
ومن طمع ومن حسد..
ينجيك وينجينا..
ويعود لي رفيق دربي..
وتعود المياه إلى مجارينا..
أحلى وأصفى مما فيه كنّا..
وتعود أنت..
يا زائر الفجر إنسانا..
تشدو لنبل، لخير، لطهر..
صباح مساء أنغاماً وألحانا..
وتفيض نفسك..
سلاماً، حباً، وإيمانا.

المَقْهُورُون

يا مَنْ سُدَتْ في وُجُوهِهِمُ الدُرُوب
يا من تَسَاءلُونَ إلى أيْنَ الهُرُوب؟
اِنْهَضُوا ودِعُوا الحُزْنَ الكَئِيب
لاحَتْ تَبَاشِيرُ فَجْرٍ طَرُوب
إنّ بِلادَنَا لَهَا سِحْرٌ عَجِيب
لا يُدْرِك كُنْهَه إلا لَبِيب
* * * * *
ها هِيَ الأنْهَارُ تَرْوِي أرْضَنَا
دامِعَةً تَرْنُو نَحْوَنَا
لونُها سُمْرَةُ تَانَا
الحَبَشِيَةُ التي غَنَتْ لَنَا
مَذَاقُهَا رِضَابُ فِكْتُوريَا
الزِنْجِيةُ التي اِفْتَتَنَتْ بِنَا
* * * * *
ألا تَرَوْنَ أمْوَاهَ الأنْهَارِ تَكْلَى
في عُيُونِنَا تَرَقْرَقُ
ألا تَرَوْنَهَا غَضْبَى
في دِمَائِنَا تَدَفَقُ
تَسِيلُ مُعَرْبِدَةً
إلى مِصْرَ التي نَعْشَقُ
وإلى فَرَادِيسٍ
لأرِيجِها نَتَشَوقُ
* * * * *

في بلادِنَا ما عَادَت أزْهَارٌ تَنْمُو
ليْتَهَا تَنْمُو لتُرِيْنَا بَهَاءً وازْدِهَاء..
في بلادِنا ما عادَت أطْيَارٌ تَشْدُو
ليْتَهَا تَشْدُو لِتُعَلِمَنَا طَرَباً وغِنَاء..
في بلادِنَا ما عادَت قُلُوبٌ تَحْنُو
ليتَها تَحْنُو لِتُسَاقِينَا حُبَاً وإخَاء.
* * * * *

تعالُوا نَنْدَس وَسَطَ الْزِحَام
لا شَحْنَاء بَيْنَنَا لا خِصَام
هيا، نَتْرُك كُثْرَ كَلاَم
ونَمْضِي قُدُمَاً للأمَام
زادُنَا كِسْرَةٌ بِمَاءٍ..
أشْهَى طَعَام..
بَيتُنَا عُشَةُ قَشٍ..
أرْفَعْ مَقَامْ.
* * * * *

إلامَ السُكُوتُ إلا مَا!
إلام الخُنُوعُ إلا مَا!
مَقْهُورُونَ إلى مَتَى؟
أ إلى يَوَمِ الْقِيَامَة..
بعْدَ أنْ فَتتُوا فِينَا العِظَامَ..
تَرَكُونَا لا نَسْطِعْ نُهُوضَاً لا قِيَامَا..
وبَعْدَ أنْ سَاقُونَا دَوَابَاً وهَوَاَما..
لا نُحْسِنْ شَكَاةً لا كَلامَا..
تَرَكُونا نَهْبَاً..
لَمَنْ يَسْوَى ولا يَسْوَى مَلامَا.

إلهام

أَلْهِمِينِي يا بلَدِي..
يا حَبِيبَة..
أحْلَى قَصِيدَة..
مهما شُعَرَاء نَظَمُوا..
ونَعَتُوا..
ونَحَتُوا..
ونَحَتُوا ما نَحَتُوا..
وين دَه كُلُّه!
من عُيُونِك يا بلَدِي..
بلَدِ الحُب والريْدَة.
* * * * *
بارا.. يا مَنْهَل ثَقَافَة..
يا مَنْظَر قِيَافَة..
يا مَهْدَ لَطَافَة..
مهْمَا أُدَبَاء كَتَبُوا..
وَوَصَفُوا..
وحَبَرُوا..
وحَبَرُوا ما حَبَرُوا..
وين دَه كُلُّه!
من عُلاكِ يا بلَدِي..
بلَدِ خِصَالِ حَمِيدَة.
* * * * *

غَنِينِي يا حُلْوَة..
أَحْلَى غِنْوَة..
مَهْمَا غِنْوَاتِ غنّا..
مهما طِفِشْ وَجَنّا..
مهْمَا ذَابَ فنّا..
ورقّ وحنّا..
وغنّا..
وغنّا ما غنّا..
وين ده كُلُّه!
من غُنَاكِ يا بلَدِي..
بلَدِ بَلابِلِ غِرِيدَة.
* * * * * *
بارا.. يا حنِينَ سَوَاقِي..
يا سَجْعَ قَمَارِي..
يا ُضلَ عَصَارِي..
بِعُودٍ وكَمَانٍ ليْكِ عَزَفْنَا..
مَهْمَا عَزَفْنَا..
وعَزَفْنَا ما عَزفْنَا..
وين دَه كُلُّه!
مِنْ حَفَاوتِك يا بلدِي..
بلَدِ وُجُوهِ سَعِيدَة..
وين ده كُلُّه!
مِنْ غَلاوتِك يا بلدِي..
بلَدِ طَبِيعَة فَرِيدَة..
لولاكِ يا بلدِي..
يا حَبِيبَة..
لا نَظَمْنَا لا غَنيْنَا..
أحْلَى أجْمَل قَصِيدَة.

لَنْ أبُوحَ باسْمِه

لا لَنْ أبُوحَ باسْمِـــــــه
حتى يبُوحَ بِمَا لَدَيــــْــه
لأنِي وَعَدْتُهُ وَعْدَاً نَبِيلاً
وَوَعْدُ الحُرِ دَيْنٌ عَلَيـــه

* * * * *

أرَى عِنَبَاً في وُجْنَتيـــه
وعَسَلاً يَقْطُرُ منْ شَفَتيـه
ووَسنَاً يَدُبُ في مُقْلَتيـــه
ليتَهُ يرنُو كمَا أرنُو إلَيْـه

* * * * *

لا تَلُمْنِي يا حَبِيبَاً أشْتَهِيه
قَلْبِي أنْتَ مَنْ يُدَاوِيـــــه
بدلاً مِنْ أنْ توَاسِيـــــــه
صَدَاً وهُجْرَاناً تُسَاقِيـــه

غُرْبَة

يَامَا غَرَبْنَا وشَرَقْنَا..
وشَتَيْنَا في آفَاق..
في وِدْيَان وبِطَاح..
يَامَا رَدَدْنَا مَدَائِحَ مُدَاحِنَا..
مَعَ أنْفَاسِ صبَاح..
يَامَا وَشْوَشَنَا عَبِيرٌ..
مِنْ زَهْرٍ وَوَرْدٍ شَذَا وَفَاح..
يَامَا فَتَنّا بَرِيقُ جَمَالٍ..
مِنْ خُدُودِ بَنُوتْنَا لاَح..
إيه بِنَسِينَا ما ولّى ورَاح..
ويَبِثَ السَلْوَى في أرْوَاح..
وَيُداوِي جِرَاح..
غير عَوْدَتْنَا ثانِي للمُرَاح..
لأهْلِنَا..
أهْلُ الوُدِ..
أهْلُ الحُبِ والصَلَاح.

لواعِجُ الغُرْبَة

يا أخِي أَرى أُنَاسَاً جَذِلُون يَتَأمَلُون..
في زُرْقةِ بُحَيْرَةٍ، وَبِجَعٍ مَلِكِية..
وعَجُوزَاً يَحْمِلُ سِنَارَة..
وفي أزْهَارٍ بَرِيَة..
نَبَتَتْ على بَابِ مَغَارَة..
وفي عُيُونِ مَاءٍ نَضَاحَةٍ فَوَارَة..
وأنَا وأنْتَ قَابِعَانِ هَا هُنَا..
بَعْدَ أنْ هَجَرْنَا بِلادَنا..
نُحَمْلِقُ في بَلاهَةٍ..
في أكْوَامِ حِجَارَة..
وفي أرْضٍ جَرْداءٍ أمَامنَا ممتدة..
لا شَجَرَ، لا خُضْرَةَ، لا نَضارَة..
وفي قِطَعِ حَدِيدٍ في الجِوَارِ مُبَعْثَرَة..
تُذَكِرُنا نُشُوبَ حَرْبٍ مُدَمِرَة..
سِلاحُهَا فَتَاكٌ جُيُوشُها قَذِرَة..
وفي بُيُوتٍ تَحْتَ بِنَاءٍ..
مُشَتتَةً في غَيْرِ نَسَقٍ..
أو فَنِ عِمَارَة..
ماذا تَجْدِي دَنَانِيرٌ أصْبَحَتْ دَرَاهِمَ..
بعد أن ذَبَحْنَا قرباناً لَهَا حُرِيَةً، عِزَةً..
شَهَامَةً، وَكَرَامَة..

بعد أنْ كانَت تأتِينَا كَبَاً..
صارت تأتِينَا بقَطَارَة..
واسْتَبْدَلنَا الذِي هُوَ بَلاهَةً..
بالذي هُوَ نَبَاهَةً وشَطَارَة..
قُلْ لِي مَاذا جَنَيْنَا؟
غَيَرَ تِيهٍ، ضَيَاعٍ..
مَرَضٍ، ومرارَة..
يا أخي بِصَرِيح العِبَارة..
ما جَنَيْنَا عِنَباً بَلْ شَوْكَاً..
وما كَسِبْنَا ذَهَبَاً بلْ بَعْرَ حِمَارَة..
قُلْ لِي ماذا فَقَدْنَا؟
فقدنا كَثِيرَ الكَثِير..
فقدنا ذَوَاتَنَا..
فَقَدْنا نَخْوَةً، إقْدَاماً، وجَسَارَة..
يا أخي أحَادِيثُ مجَالِسِنَا..
طَوَافٌ بِلَغْوٍ، وَغَثٍ، وَعَبَثٍ..
إحْرَاقٌ لِفَنٍ، فِكْرٍ، وأدَبٍ..
طَمْسٌ لمَدَنِيةٍ، وحَضَارَة..
أنْسَى إحْصَاء، اقْتِصَاد، وإدَارَة..
يا أخي غَابَ العَقْلُ مِنّا..
غَابَ ومَا أطْوَلُه غِيَاب..
يا أخي كفَانَا..
كفَانَا مَسْخَرَةً وهِبَاب..

طَوَفْنَا في آفَاق..
نَزَلْنَا وِدْيَانَاً وصَعَدْنا جِبَالاً وهِضَاب..
ولأننا نهوى تلاعُبَاً في حسَاب..
ما فَقَدْنَاهُ يا أبو الشَبَاب..
كانَ فادِحَاً..
أفْدَح بِكَثِيرٍ مِمَا تَصَوَرْنَاه..
مِنْ تِيهٍ..
وَفَشَلٍ..
وَخَرَاب..
ولكِن.. لا مَفَرّ؟
الحَيَاةُ في بِلادِنَا طَعْمُهَا مُرٌ..
عذابٌ في عذَاب..
أهْلُهَا يَهْرُبُون..
يَمُوتُون لأجْلِ عُيُون..
بِلادِ ضَبَاب..
لا يُفَكِرُّون أبداً في وَطَنٍ..
أو عَوْدَة..
ولا تَخْطُر لهُم على بالٍ كَلِمَةُ إيَاب..
إيَاااااااااااااب..
إيَاااااااااااااب..
لأنَهُم يُدْرِكُون..
إنّ كُلَ مَنْ آبَ خَابَ..
وما سَفّ إلا تُرَاب.

لا تَسَلْنِي

لا، لا تَسَلْنِي يا حَبِيبي..
هذه الدُنْيَا ظَلامٌ..
ظلامٌ في ظَلام..
مَسْرَحُ أشْبِاحٍ عَمْيَاء..
تَنْبِشَ مَزَابِلَ..
تَأْكُلُ جَمَاجِمَ..
تُحِيلُ كُلَ شَيءٍ حُطَام..
يا حبيبي قَدْ مَضَى..
عَهْدُ غَرَام..
ماذَا بَعْدَ أنْ عَبَأنا كؤوسَنا..
وَتسَاقَيْنَا مُرّ مَدَام..
لا بِحُبٍ قد نَعِمْنَا..
لا وِئَامٍ، لا سَلام..
إنَمَا فَجُ كَلَامٍ..
لمْ يَجْلِبْ لنا أمْنَاً..
ولا أزَالَ لنَا سُقَام..
دُنْيَانا مَلأنَاها فُجُوراً..
ذُنُوباً، خَطَايا، وآثام..
لِذُاتُهَا صَارَت حَرَاماً في حَرَام..
والآثِمُون..
غَدُو نُجُومَاً، شُمُوَساً عِظَام..
نَعُدُهُم مِنْ خِيْرَةِ أنَام.
يا حبيبي أمَا كُنَا في أرْفَعِ مَقَام؟

نَتَنَاجَى كَحَمَائِمٍ..
لا يُعَكِر صَفْوَنَا إلا صَفُوُ نَسَائِمِ..
وَهَمَسَاتِ هُيَام..
يا حبيبي أيْنَ كُنّا؟
وأيْنَ نَغْدُو؟
وهَلْ أيَامٌ سَتَأْتِي؟
بِمَا يَجْلُو أرْوَاحَاً ويُطَهِرُ أجْسَام؟
يا حبيبي ألا ترَى ما أرَى؟
ألا تَرَى دُخَانَاً خَلْفَ غَمَام؟
يَنْذِرُ بِخُطُوبٍ مِنْ ُصنْعِ بَشَرٍ..
وبِحرَائِقٍ عِظَام..
لا تُبْقِي لا تَذَر..
لا تُفَرِقْ بيْنَ عَمَالِقَةٍ وأقْزَام..
ولا من هُو كَهْلٌ أو دُونِ فِطَام..
ألا تَرَى لَهْوَاً، عَبَثَاً، فُجُورَاً..
خِيَامُهُ مَضْرُوبَةً..
في كُلِ مَكَان..
وفي كُلِ زَمَان..
لا فرق بيْنَ شَاطِئٍ، مَصْيَفٍ..
مَسْرَحٍ، سِيْنَما..
أو مَطْعَمٍ يُقَدِم طَعَام..
ألا تَرَى تَفْجِيراً، تَحْطِيمَاً، تَقْتِيلاً..
فَوْهَاتُه مَنْصُوبَةً..
في كُلِ مَكَان..
وفي كُلِ زَمَان..

لا فَرْقَ بين فُنْدُقٍ، مَدْرَسَةٍ..
مَسْجِدٍ، كَنِيْسَةٍ..
أو دَارِ عَجَزَةٍ وأيْتَام..
ما عُدْنَا نَدْرِي..
أفِي صَحْوٍ نَحْنُ أمْ مَنَام..
جَرَفْنَا وَرْدَاً وزَهْراً..
وَزَرَعْنَا مكَانَهَا حِقْدَاً، عَفَنَاً، وألْغَام..
وكَفَرْنا بِكِلِ أخُوةٍ ووِئَام..
رَكَلْنَا حِكْمَةً..
ذَبَحْنَا عَدْلاً..
نَفَيْنَا نُهَى، وعَقْلاً..
وتَرَكْنَا مُخَنَثِين، جُهَلَاء، أغْبِيَاء..
يُمْسِكُونَ بعِنَانٍ وَزِمَام..
أيْنَ عادٌ وثمُودٌ..
أيْنَ مَغُولٌ، وتَتَأْر..
أيْنَ، وأيْنَ، وأيْنَ...
وأيْنَ بُنَاةُ أهْرَام..
ذَهَبُوا كُلُهُم، وَبقِيَت حَقِيقَةٌ بائِنَةٌ..
أنَنَا ذاهِبُونَ..
ثَمْةَ خَالِدُونَ في دَارِ بَوَارٍ أو سَلَام..
فَلْنَهْتِف عالِياً:
عَلَيْنَا وعلى دُنْيَانا اسلَام..
سَلاااااااااااامُ..
سَلاااااااااااام..

(وا خُرْطُومَاه)!!!

أهذه الخُرْطُومُ التي أبْدانُنَا من أدِيمِها؟
وأرواحُنا تطيرُ مُجَنحةَ مع غَمامِها..
كم لِهثت أنفاسُنا وَسَطَ زِحَامِهَا..
وكم أطْرَبَنَا هَدِيلُ حَمَامِهَا..
وكم كم عَطَرَنا عبيرُ نسيمِها.

***

يا ما جلسنا على شُطْآن..
و(المَقْرَنُ) آيةٌ من آيات بديعٍ فنَان..
والأمواجُ تأتي من (قِيفْ) بَحْرِي وأمُ دُرْمَان..
راحلةً نحو مَتَمَة أرْقُو أُسْوَان..
تَقْطرُ سِحْراً في كُلِ مَكَان..
وتهَبُ حياةً لأي كَائِنٍ من كَان.

***

ما عادَتِ الجَنَةُ التي أَلِفنَاها..
ما مِنْ خافِيَةٍ فيها إلا وخَبِرْنَاها..
صباحاً قَهْوَةً مُشَعْشَعَةً يا ما رَشَفْنَاها..
أصِيلاً نَتَمَدَدُ على بُسطٍ فَرَشْنَاها..
ومساءً نُغَنِي أغانٍ ما مَللنَاها.

***

بارودٌ بُمبانٌ حُطامٌ فوقَ حُطام..
بُمْم ... بُمم... بام..
ورُكامٌ فوقَ رُكام..
بُمْم...بُمْم... بام..
عُذْرِيَتُها عليها سَلام..
أوْرَثُوهَا خِزْيَاً وايدزا وجُذام..
لأن من رَضِعَ غَدْراً قَبَل ِفِطام..
لا يعيشُ أبداً إلا في دَياجِيرِ ظَلام.
***
أحَالُوها أرضاً سَماء..
رمَاداً غُباراً هَبَاء..
عُرُوقُهَا ما عادَت تَضُخُ دِمَاء..
شِفَاهُهَا ما عادت تَعْرِفُ غِنَاء..
عُيُونُها ما عادت تَتَألق ضياء.
***
مَهْمَا طَغَى مُسْتَبِدُون..
وعاثوا في أرضٍ فَسَاد..
وجمعوا ما جمعوا من وسَخٍ دَنَسٍ وعَتَاد..
وكادوا بكيدِ دَهَاقِنَةٍ ومُوسَاد..
وأتوا بما لم يأتِ بهِ ثمُودٌ وعاد..
وفرعونُ ذو أوتاد..
الشَعْبُ يَقِفْ لهُم بمِرْصَاد..
***

وا خُرْطُومَاه.. شُرَفاءٌ يُسْجَنُون..
ليلاً نهاراً يُعَذَبُون..
لكنهم، في شُمُوخٍ نَخِيلٍ واقِفُون..
شُمُوعٌ يضيئون وهم يَحْتَرِقُون..
لا ترْهَبُهم خِسَةُ تنابِلَةٍ جُبَنَاء..
ولا تآمرُ أرَاذِلٍ جُهَلاء..
ألا تَرَ يا شَعْبٌ هامَتُه سَمَاء..
تنَابِلةً يؤلِهُون جِيفَاً مُسْتَبِدةً صَمَاء..
بِحَمْدِهِم يُسَبِحون..
ولهُم أذِلاء يَرْكَعُون ويَسْجُدُون..
وفي خَيْرِهم وشَرِهِم يَتَمَرَغُون..
وفي ذلةٍ لِكُعُوبِ أحْذِيَتِهِم يَلْعَقُون..
ولِفعلِهم وقولِهم بالْعَشَرةِ يبْصِمون..
لأنهم تنابِلة.. والتنابِلَةُ حقاً تافِهُون..
لا يفهمون أن عِقباناً وحِدآنا لخيراتِهم ينْهَبون..
وفي أدَقِ شُئُونِهم لأُنُوفِهم يَحْشُرون..
وا أسَفَاه! لأهْلِهِم يَحْرِقُون يَنْهَبُون ويُشَرِدُون..
ولأرْضِهم يَسْلِبُون، ويَسْتَوطِنُون..
وهم – وا أسَفَاه – في غيبوبةٍ مُخَدَرُون..
وفي رُزٍ وعسَلٍ نَائِمُون..
لا يُدْرِكُون أنَهُم سوسٌ ودودٌ فيهِم ينْخَرُون..
وفي زَرْعِ الفِتْنَةِ بينهم يَتَفَنَنُون.
***

ألا تَسْمَع يا شَعْبٌ هُمام..
طَنِينَ طَبالينَ بِحُبِ وَطَنٍ يَطِنْون...
وفي كُلِ مِحْفَلِ طواويسَاً يَخْتَالون..
علناً أسدٌ وخُفْيَةً وطاويطٌ يُسَاوِمُون..
يا لِلْمَهْزَلة يُروِجُون
قطارُ الوطنِ غَيْرُ مأمُون..
إلا وسُواقُه هُم.. لأنَهُم سِياسِيُون..
يكْذِبُون ويكْذِبون، ويكْذبون..
وفي نذالةٍ لأنْفُسَهِم يُصَدِقُون..
نسانيسٌ حينما يَتشَاكَسُون..
أبداً.. يَتَسَلقُون..
وأبدا.. يَطْلَعُون ويَنْزِلُون..
وأبداً.. يُفْسِدُون الأرْضَ حِينَما يُهَمَشون..
وأبداً.. يأكُلُون أخضرَا ويابسَا حينما يَتَمَكَنُون.
***
يا شَعْبٌ هُمَام..
ما تنابِلةُ ونَسَانِيسٌ إلا مُنافِقُون أفَاكُون..
يَتنَاحَرُون يَتشَرْذَمُون يَتَفِقُون ألّا يَتفِقُون..
لأنَهُم حقاً لا يَفْقَهُون..
لا يَفْقَهُون أنّ الأوطَانَ ليْسَت لِبيْعٍ وشِرَاء..
مَهْمَا عَظُمَ حَجْمُ إغْوَاءٍ وإغْرَاء..
ولأنَهُم لَفِيفُ أغْبِيَاء..
فَهُمْ صُمٌ بكمٌ عُمْيٌ أمواتٌ غيرُ أحْيَاء.
***

وا خُرْطُوماه.. علماءُ سلطانِ أشكالٌ ألْوَان..
ضلوا ولا يُضِلون إلا ناقصَ عَقْلِ جَهْلان..
في بلاهةٍ يُتَفِهون حُقُوقَ إنْسَان..
وفي تفاهةٍ يُعَظِمون حُقُوقَ سُلْطَان..
يقولون لنَا السبيلُ واحِدٌ سبيلان..
كيْفَ؟ وهُم أنْصَارُ بَغْيٍ وطُغْيان..
يُهيئون رؤوسَنَا لِيَقْطِفَها كُلُ مُغَيبٍ غَبْيَان.

***

وا خُرْطُوماه.. رُتَبٌ تُشْتَرى كما مِلحٌ في دُكَان..
أصْحَابُ سِيَادةٍ زائِفُونَ يَهابُهم قاصٍ ودَان..
سياراتٌ فارهاتٌ، حشمٌ خدمٌ، حراسٌ ديدَبان..
يَمُصُون في جشَعٍ ونهَمٍ دمَ شَعْبٍ غَلْبَان..
سؤالُنا ماذا بعدُ؟ حَالُنَا شيبَ ولْدان..
حيرَ آل بُوتينَ وآل سُعودٍ وآلَ نَهْيان؟
حتما سيأتي يومٌ لا أبْيَضَانِ لا أسْوَدَان
بيتُ مالِ خاوٍ، خَواءِ بيتِ أبُو دَنَان..
يا أهلَ سُودَان خَوَازِيقكم بلا حُسْبَان
لكنَ! أتعَسَها خازُوقَان..
وكلُ لبيبٍ لهذين الخازوقينِ بالإشارةِ فهْمان..
لن ينْعِدلَ حالُكمُ أبداً، وهما فيكُمَا رَاكِبَان.

***

وا خُرْطُومَاه.. الشُهَداءُ بينَنَا كانوا يَتَرَنَمُون..
يَترنَمُون وفي أيْدِيهِم أغصانُ زيْتُون..
يَتَرَنمُون وفي أفْئِدَتِهِم حبٌ لِوَطَنٍ مَطْعُون..
يَتَرنمُون...
«نَحْنُ للوَطَنِ.. فِدَاء..
نَمُوتُ لِيَحْيَا أهلُنا.. أعِزَاء..
نَرْحل بعْدَ أن غَرَسْنَا شَتَلاتِ أمَلٍ.. خَضْرَاء..
نَرْحَل بعْدَ أنْ رَفَعْنا رايَاتِ حُرِيَةِ شَمَاء.»
***
صَبْراً يا خُرْطُومُ صَبْرا..
غَداً، سوف يَنْقَشِعُ ضَبَاب..
وَعْداَ يا خُرْطُومُ وَعْدَا..
غداً، لا طُغاةَ، لا جِيَاعَ، لا حُفاةَ، لا عُراةَ، ولا خَرَاب..
حَتْماً يا خُرْطُومُ حَتْما..
غدا، تُرَفرِفُ بَيَارِقٌ فوْقَ كُلِ بَاب..
قَطْعاً يا خُرْطُومُ قَطْعَا..
غداً، تُزَغْرِدُ بَناتٌ، يهتِفُ شَبابٌ، لا كِلاب، لا ذِئاب..
لا رُصاصَ، لا سِياطَ، لا عَذاب..
غداً، يعُمُ البِلَادَ دَوِيُ الهُتَاف...
«سُودَانا فُوق، فُوق، شبابنا فُوق، فُوق..
يَحْيَا وَطَن، يَحْيا شَبَاب».
***

بُشراكِ يا خُرْطُومُ بُشْرَاك..
ما بعْدَ غدٍ سوف يَلُفُ ويدُورُ زمان..
رُفَاتٌ نَتِنَةٌ، وعظامٌ نخِرةٌ تعافُها ديدان..
لا زَهْوٌ، لا كِبْرٌ، وإنما ملائِكَةُ ديّان..
يسألون: فِيْمَ سَفكْتُم، اغْتَصَبْتُم، كَذبْتُم، واتبعتمُ شيطان؟
يُجيبُون: كُنّا نَهْدِم كِيزَاناً ونَبْنِي مَدَنِيةً لأهْلِ سُوَدان..
يفْتَرُون، يوم لا يَنْفعُ مالٌ، لا بَنُون، ولا بُهْتان..
ولا بِطَانَةُ سُوءٍ في يومِ نَكَدٍ وخُسْران..
لأنّ سِرَاطَ اللهِ مستقيمٌ، لا لَفٌ فيه ولا دَوَرَان.

***

سَعداكِ يا خُرْطُومُ سَعداك..
فيما آتٍ من الزمَان..
الكونُ مذهولٌ يروي عَمَا كان..
يروي: كان يا ما كان في سَالِفِ عَصْرٍ وأوَان..
شعبٌ في بلدٍ اسْمُهُ سُوَدان..
كانوا يُغَنُون جَذِلِين: (بلدي السُودان أحبَ مكَان..
لأنُه حِسانُه أعَفَ حِسَان..
طِيرُه صادِح ورَوضُه جِنَان)..
رَكَعوا طغاةً، بِسِلاحٍ بَسِيطٍ، كِلاشْ وإيْمَان..
جَنَبُوا بِلادَهُم أنْ تنْفَتَ فتشْرَبَ كأسَ ذُلٍ وهَوَان..
خَطُوا بدَمِهم أرْوَعَ مَلْحَمَةٍ في سِفرِ حُبِ أوطَان.

لا تَسَلْ

لا تسل! عن بَلَدِنا هل مِنْ خَبَر؟
بَلَدُنا سَماؤها لا غَمَامٌ لا مَطَر
غَرْسُها لا نُوارٌ لا ثَمَر
آهٍ، آه.. أنا ملاحٌ تَاهَ في بُحُورٍ
لا مدَ، لا جزْرَ لها، ولا جُزُر
* * *
لا تسل! متى يكْسُو أرضَنَا بِسَاطٌ أخْضَر؟
يُورِقُ لنا شَجَر
فأنا طائرٌ عَجُوز
جَناحَاهُ مَكْسُورَان
لا يقْدِران على كَرٍ وفَرٍ
ولا على سَفَر
* * *
لا تسل! متى يطْلَعُ لنا نجمٌ أو قمر؟
فأنا فُؤادِي مفْتَتٌ، زُجاجٌ انْكَسَر
بُعْثِرَ في حواصِلِ طيرٍ خُضُر
لا أدْري خلاصَاً من أيَتهُا خَطَر
بلا بصِيَرة
ولا بَصَر
* *
لا تسل! أين عودٌ كمانٌ وَوَتْر؟
حياتُنا أمسَت سأمٌ، مَلَلٌ، ضَجَر
نغدو نروحُ كخِرافٍ يسوقُها غَجَر
لا نومَ، بل داناتٌ، حِمَمٌ، بُرْكانٌ انفَجَر
مآقينا هَدَهَا أرقٌ مزَقَها سَهَر
لا يُوقِظها فجرٌ
ولا يداعبُها سَحَر
* *

لا تسل! أنحنُ أوادمٌ
أم مسخٌ من بشر؟
ألنا بطولاتٌ، خُيُولٌ، جِمَالاتٌ صُفُر؟
ألنا حضارةٌ بناها بدوٌ وحَضَر؟
أم غثاءُ سَيْلٍ جَرَى وعَبَر
لا ذِكرٌ
ولا أثَر
* *
لا تسل! أيبيتُ طائرٌ دُون َوكَر؟
ألا يذودُ عنه مَهْمَا دهَمَهُ خَطَر؟
ألا يَحْمِيه من أيتُها ضَرر؟
يموتُ فِدَاهُ لا خَوفٌ لا خَوَر
لا يخْشَ نازِلةً قَدَرهَا قَدَر
لا تُبقي لا تَذَر
ولا يَمْنَعُها حَذَر
* *
لا تسل! عن نحْلِ وورْدٍ ونَهَر
ورَحِيقٍ وشَهْدٍ، آيَةٌ لِمَنْ ادَكَر
والمَلِكَةُ رَمْزٌ، النحلُ بها سَمَا وافْتَخَر
يبْذِلُ كلَ غالٍ نفيسٍ مُدَخَر
لها، ولِخِلْيَةِ نَحْلٍ بالحُبِ اشْتَهَر
كُلما زادَ رحيقُها زادَ واسْتَعَر
ولِذا نَمَا وازدَهر
* *

لا تسل! عن نَمْلٍ وحُفَرٍ وحَجَر
أنملةٌ قالت: أدخلوا بُيُوتَكم لاحَ خَطَر
لا يحَطِمَنَكُم سليمانٌ وخَفَر
النملُ حَمَاهَا بلا سأمٍ أو ضَجَر
ونحنُ نتْرُكَهَا لقمةً سائقةً لشُذاذٍ غَجَر
(بُيُوتُنَا في داهِية وأرواحُنا لنْ نُضَيعْهَا هدَر)
مُعَذَرُونَ، أُسْدٌ لا نفيرٌ مُغِيثٌ نَفَر
لا عينٌ لفِدَائيٍ تَقْدَحُ شَرَر
ولا أنيابٌ لليثٍ نَتَر

* *

لا تسل! عن بَلَدٍ دمَرَه قَزَمٌ تَجَبَر
فَرَنْسا، لم يَرْهَبُهُم رُومِل وهِتلَر
فِيتْنَام، لم يَهْزِمُهُم إيزنهور وفوستر
بُوسْنَه، لم يُبِيدُهُم صربيٌ صليبيٌ تَنَمَر
عِرَاق، لم يَسْتذلُهُم بوش، باول، بِريمَر
توتسي، هوتو، فَنُوا بساطورٍ، فأسٍ، وخَنْجَر
كُلُ غازٍ زَيَنَ لهُ شَيطانٌ أكْبَر
أنه مَارِدٌ لا يُغْلَب لا يُقْهَر
انْدَحَرَ، انْدَثَرَ، تَبَعْثَر
وعادَت حياةُ ذُلٍ وَكَدَر

بعد جُوعٍ أغْبَر

وموتٍ أحْمَر

أجْمَل، وأنْضَر

* *

لا تسل! عن مَغُولٍ وتَتَار

رَوُوا الأرضَ بدمٍ غزيرٍ مِدْرَار

سودوا دجلةَ وفراتَ بِمِدادِ كتاباتٍ وصُوَر

البونُ بينهمُ وغُزَاة غَجَر

لا يخطُرُ على بالِ بَشَر

أولئك أسلموا بعد شِركٍ بَينٍ ومُسْتَتَر

وهؤلاء مثالِبُهُم يومَ لا مَلْجَأ ولا مَفَر

تكُبُ وُجُوهَهُم في سَقَر

* *

لا تسل! عن عالَمٍ يحكُمُه لُصُوصٌ فُجُر
لا يَتَورعُون عن سَفْكِ دِمَاءٍ طُهُر
جلادُون، ضحاياهُم إما مُقَرْقِرُ أو قُبِر
تافهون وحُكامُنا خدمٌ لأي تافهٍ قَذِر
مليشيا جَيَشُوها مكنُوها، بلا بُعْدِ نَظَر
البِلْدَانُ لا تُسَاسُ بِحُسْنِ ظَنٍ قَلَ أو كَثُر
لو كانَ ذلكَ كذلِكَ لمَا بَقِيَ لها أثَر
يا أسفاً على بَلَدٍ دمُهُ راحَ هَدَر
كُهُولُنا، أنْثَى وذَكَر
إهانةٌ، شتمٌ، ضربٌ، غِلٌ قدْ ظَهَر
موتٌ زُؤامٌ لِمَنْ لَمَزَ غَمَزَ شَهَقَ أو زَفَر
عَبَسَ أو بَسْر
صِغارُنا من يحبُو ومنْ في مشْيِهِ َعَثَر
يُرَوَعُ ليعِيشَ أبداً مُحْتَقَر
يَخَافُهُم كغُولٍ في عينهِ عْوَر
شَبَابُنا منْ نَبَغَ في مهنةٍ أو اتَجَر
يُعْدَمُ بِلَمحِ بَصَر
حتى لا يبقَ من يُفَرْفِر
أو يمْتَشِقُ سيفَ عُشَر

* *

لا تسل! عن عالَمٍ يَحْكُمُه تُجَارُ مُخَدِرٍ وَبشَر
ومِثْلُيون يَلعَنُهم من خَلَقَ وَفطَر
بإشارة منهم حاكِمٌ (ضَكَر)
يكونُ مُجَرَد خَبَر

من إفكهم يَبُثُّون: هَرَبَ أو اِنْتَحَر
شَعْبُهُ ثارَ لأنه تجبرَ وقَهَر
شَعْبُه ُنالَ حريتَه، انْتَصر
لكنه شَعْبٌ ضرير
بلا بَصَر
الحُرِية عندهم في مُفِيدٍ مخْتَصر
أنه الآن شعبٌ تَمَدَنَ تَحَضَر
صَارَ محظيةٌ لهُم تتجَمَلُ تتعَطَر
يَتَمتَعُون بها دُونَ عَقْدٍ أو مَهَر
* *
لا تسل! عن كرري تُحَدِث عن أسودٍ كاسِرَة
لاقوا بغاةً غزاةً بِرِمَاحٍ وسيوفٍ باتِرَة
لم ترْهَبُهُم بنادقٌ، مدافعٌ، عقولٌ ماكِرَة
آهٍ، آه، أحفادُهم نَعامٌ فرَ من صافِرَة
لا يَعَقْلِون أن دنياهم تِجاَرةٌ خاسِرَة
وموتُهُم يَقِينٌ بعدَه حِسَابُ آخرَة
* *
لا تسل! عن حطابين يَقْطَعون جُذُوعَ شَجَر
وعن رُعاةٍ يقطعون أذنابَ بقَر
وعن قَتَلةٍ يقطعون رِقابَ بشَر
حياتُهُم سلبٌ نهبٌ وقضاءُ وطَر
يَجْهَلُون أن كلَ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطر
وأنهم حطبُ جْهنمَ ولاتَ حينَ مَفَر
فحيحٌ حميمٌ وشَرر

لن تنْفَعُهُم دُوشْكَا، تاتْشَر
ولا رَهْطٌ كُثُر
* *
لا تسل! عن مِلَةٍ حربُها مُبْهِرَة
رسُولُها، رحْمَةٌ مُهْداةٌ وحِكْمَةٌ نَيِرَة
نادى في جُنْدٍ بالله مُوَحِدَةٌ مُظَفَرَة
لا تقتلوا شيخاً ضعُفَت قوتُه وبَصَره
لا تقتلوا امرأةً في بيتِها مُسْتَتِرة
لا تقتلوا صبياً في سنينٍ نَضِرَة
لا تقتلوا مُتَعَبِدين في أدْيِرَة
لا تُفْسِدوا بِخَرابِ أرضٍ مُعَمَرَة
لا تُمَثِلوا بِمَيتٍ في غَرْغَرَة
لا تَقْطعُوا شَجَرَة
أنفقوا على الأسيرِ مما اللهُ يَسَرَه
ويأتي من يُجاهِر بخَبَائِثِ! ما أكْفَرَه
يقول نحنُ مسلمون لا نفعل أفعالاً مُنْكَرَة
قَطْعُ لِسانِكَ يا دَعِي نَكِرَة
الإسلامُ بُراءٌ مِنْكُم يا قَتَلَةً قَذِرَة
* *
لا تسل! عن بلدٍ نِعَمُهُ وخَيْرَاتُه وافِرَة
يَحْمَدُونَ من خَزَائِنُهُ لا تَنْضَبْ، دائِماً عَامِرَة
قام فيهم شَقِيٌ يبيعُهُم بِضَاعةً خاسِرَة
اسْتَعَانَ بِكِلِ مُرْتَزِقٍ وتافِهٍ مُغْتَصِبٍ أمُهُ عاهِرَة
ليأتي لهُم ب (مدنيه)! كاسِدَةٍ بائِرَة

يَقْتُلُون يَغْتصِبون يَسْبُون لا يَخْشَون فاقِرَة
والمدنية وراءَهَم تُهلِلُ لهُم، هادِرَة
تَسْلمْ جِباهٌ نائِرَة
تَسْلمْ قُلوبٌ عامِرَة
تَسْلمْ أيادٍ طاهِرَة
الشعبُ فَطِنٌ لا تَغُشُهُ حِيَلٌ ماكِرَة
أقْسَمَ قَسَمَ من ذَاقَ مُرَ أيامٍ بمحَنِ ذاخِرَة
لن يسْتكين لقاتلٍ للَنْفسِ كأنها ذُبابَةٌ طائِرَة
ولا لمُغْتَصِبٍ على أمْهِ وأخْتِهِ تدُورُ دائِرَة
ولا لنَهَابٍ لم يترُك حِذَاءً قَدِيماً ولا لِباسَ قاصِرَة
لن يذِلَ لفاسدٍ خَرَابَ عامِرَة
ولن يغْفِرَ لِخَائِنٍ خِيانَتُهُ سافِرَة
والخائِن أتفهُ من بعْرٍ باعِرَة

* *

لا تسل! أتُداوِي الحَرْبُ أدْواءً كَثيرة
أعْيَت كُلَ ذي بَصَرٍ وبَصِيرَة
عظيمٌ شأنُها ولكن عند هذا الشعب حقيرة
كلُ وافِدٍ قادِمٍ من بلدٍ فقيرة
بيتُه هنُاكَ مَزْبَلَةٌ صَغيرَة
مُقَدَرٌ هُنا وابنُ البَلَدِ لا يُساوِي ليْرَة
انْتِمَاءٌ للقَبيلةِ شَرَفٌ وللْوَطَن جَريرَة
الْهَمُ ولَدٌ أهْلٌ وعَشيرة
ومَلعْونٌ أبو البَلَد، ناسَه وحمِيرَه
الدولة حَلوبٌ تَحْلِب في صَرةَ وهَجِيرة

لا عَلَفْ بلْ تَصْبِيرَة وراء تَصْبيرة
إن ماتَتَ المَوْتُ لْلْبَهِيمة والأمِيرَة
لن يَنْصَلِح شَعْبٌ بِطَعنَاتٍ دِمَاؤُها غَزِيرَة
تَفَرَقَتْ بيْنَ دُوَلٍ كَثِيرَة
لنْ يَفُورَ ولو زُغْزِغَ أطْنانُ خَمِيرَة
ما دامَ مكسورٌ لا جِبْسٌ ولا جَبيرَة

* *

لا تسل! عن شَعْبٍ طَيبٍ أمِير
طِيبَتُه تحتاج تفسير
طَيبُو هذا الزمان إما مُغَفَلٌ أو عَوِير
البِلادُ مِنْ حَوْلِنا حَقِيرٌ
وفَقيرٌ ومن لا يَسْوَى شَرْوَ نَقِير
تُبَاعُ وتُشْتَرَى كما عِجْلٌ أو بَعِير
إلامَ النومُ إلامَ!
حَبْلُ الصَبْرِ قَصيرٌ، جَدُ قَصِير
إلامَ السَبَاتُ إلامَ!
الأمرُ خطيرٌ، جَدُ خَطِير
ما تَرَكُوا مَبْنَىً إلا ودَمَرُوه شَرّ تَدْمِير
مَحُو ذاكِرَةَ بَلَدٍ بِمَاسِحَةِ طَبَاشِير
لا دُكَانَ يَمَانٍ، ولا وَدْ بَصِير
لا شِعْرَ لِعَتيقٍ ولا تيجَاني بَشِير
ولا زَهْرَةَ رَوْضٍ نَضِير
ولا نَوْبَةَ ضَارِبُهَا يَكَادُ يَطِير
ولا لَحْنَ لِبُرْعِيٍ، حَمَامٍ أو عَصَافِير

ولا أبو داوُودَ، مُدَنْدِناً عَبْرَ أثِير
ولا أمِيرُ عُودٍ، أو خِضِر بَشِير
لا وثَائِقٌ لبَاحِثٍ مُتَقَصٍ قَدِير
ولا ثَاءَ من ثقافةٍ ليْسَ لها نَظِير
ولا (تَكْتَحْ) ما تركوا إلا بَعْرَ حمير
لأنّ الحَمِيرَ بَعْدَ الْبَعْرِ لا يَهِمُها ماذا يصير

* *

لا تسل! هل تَعُودُ حَياتُنا كُلُها سُرور
ابتساماتٌ تبْسُمُ بِشْراً تتوَهَجُ حُبُور
وتمضي بنا كما كانت وَرْدٌ وزُهور
لا بارودَ، لا خفافيشَ يأنَفُون ضِيَاءً ونُور
أجلافٌ أنتنُ من جِيَفٍ دُودُها يَغْلِي يَفُور
حتماً ستعود غصباً عنْهُم وعن كُلِ مغْرُور
لأن في كِتابِنا المَحْفُوظ على مَرِ الدُهُور
من ظَلِمَ حتماً مؤيدٌ منصُور
ومن ظَلَمَ حتماً مَخْذُولٌ مدْحُور
مَخْذُولٌ مدْحور
مَخْذُولٌ مدْحور

أمُ الطيور

ما ألْطَف نَسِيما وأنْضَر خَدَارَا

الجَنةَ بارا

ما أشْرَس صُغَارَا وأرْجَل كُبَارا

الْرَاكْزَة بارا

ودَعْتُها.. وفي النَفْسِ حَسْرَة وَقَاده نَارَا

كيْفْ أوَدِع بَعَدْ ما بَاحَت بِأدَقِ أسْرَارا

* * *

لاقُونَا مَرْحَب حبَابَاً ولَعْتُوا نَارَا
أُمُ الطُيُور أمُ القَطَا أمُ الحُبَارى

مَنْ رَاهَا بحُبِها هاماَ وفَرَحَاً طَارَا

كَيْفَ لا؟ والنيلُ يَلْثُمُ بِيُوتَها دَارَا فَدَارَا

وزِينَا يَقْدِلْ بِصَفِرْ تَرَرَرْ تَرَارَا

وهُشَامُ يَنْثُرُ حَبَاً مُترَنِمَاً رَارَا رَارَا

النَاقَةُ بَهَرَنا جَمَالُ سَنَامِهَا وَصَفَارَا

يَسْلَم حُوَارَه مِنْ عُيُونٍ سَحَارَه

لَبَنُ العِجْلَة ما دايِرْ لُهْ بَصَارَه

أحْلَى مِنْ.. حَلاوَةِ نَصَارَى

ومِنْ.. عَسَلِ طَلْحٍ وَسِدْرٍ فَتَحْ أزْهارَه

غابَاتُه تُوحِي لكُلِ ذِي فِكْرٍ أفْكَارَه

شِيَاهٌ تُنَطِطْ، عُشْبٌ غَضٌ، وحَفِيفُ قِيثَارة

غَنَمٌ تَمْضَغْ، عَصَافِيرٌ تُغَرِدْ، وفَرَاشَاتٌ طَيَاره

وتيسٌ أصْفَرٌ أقْرَنٌ يَنْطَحُ بِقُرُونٍ جَبَارَة

وعِجْلٌ صَغِيرٌ أنِيقٌ يتوهج ألَقاً ونَضَارَة

وأحْمَد هُنَاك.. بِبَرْسِيمٍ يَعْلِفُ.. أمٌ تُطْعِمُ صِغَارَه

لرَبِه حامِدٌ شَاكِرٌ إجْهَارَا وإسْرَارَا

* * *

آهِ مِنْ.. بَرْسِيمٍ أخْضَرٍ يَضْحَكُ نُوَارَا

ومِنْ.. عَيْشِ رِيفٍ يتَمَايلُ يُمْنَةً وَيَسَارَا

ومِنْ.. كَمَائِنٍ تُحَوِلُ طَلْحَاً صَنْدَلاً بُخَارَا

والنيلُ هُنَاك.. فَنَانٌ يَعْزِفُ أوْتَارَا

نَحَاتٌ.. يَنْحَتُ أطْيَانَا وأحْجَارَا

رَسَامٌ.. يَرْسُمُ ظِلَالاً أضواءً وأشْجَارَا

عَطَارٌ.. يَرُشُ ياسَمِيناً رَيْحَانَاً وَصَبَارَا

* * *

ودَعْتُها وفي الْنَفْسِ حَسْرَة وَقَادَه نَارَا

كيفَ أوَدِعُ والْنَفْسُ باكِيَةً ليْلا نَهَارا

هَلْ ثَانِي مِنْ عُودَه بَعْدِ هذه زِيارَة؟

وشُوفَه لعَوَاضِ بُحُورٍ للكُسُورِ جَبَارَا

ما نَادَى مُنَادٍ إلا أجَابَ وأجَارَا

ولِمَنْ تَشْدُو قُرْآناً وأذْكَارَا

وَكَرَمٌ فَيَاضٌ يُخْجِلُ ضَيْفاً وجَارَا

ولعِيلَةٍ كُلُّهَا تَنْضَحُ وُدَاً حُبَاً ووَقَارَا

وهَلْ لِبلدِنا أنْ تَنْظَفَ مِنْ قَتلَةٍ نَهَابَةٍ سُكّارَى

أتُوا من كُلِ فَجٍ، على أرْجُلٍ، وبَطَاحٍ، وحِمَارَة

وهَلْ في العُمِرِ بَقِيَةٌ؟ الأيَامُ غَدَارَة

والْقَدَرُ أسْيَافُه قَطَاعَةٌ بَتَارَة

الحرب مفتاح الفرج

انتباه.. يا شعبُ.. انتباه
كفاية نومٌ.. كفاية!!!
قوم من نومك.. قُوم
دع وهنك دع وجَسَك.. قُوم
سن سِكينك سن سيفك.. قُوم
دُقْ طبلك دُقْ نحاسك.. قُوم
أطْرُد خناسك وسْواسَك.. قُوم
قُوم...قُوم...قُووم
* * *
انتباه.. يا شعبُ.. انتباه
كفاية ذُلٌ كفاية!!!
أرفع صوتك عالي.. قُول
لن نركع نُساوم نُطاطي.. قُول
لن نَرْكع إلا للباري.. قُول
لن نُساوم مع باغي.. قُول
لن نُطاطِي لغازي.. قُول
قُول...قُول...قُوول
* * *
انتباه.. يا شعب.. انتباه
كفاية شجبٌ كفاية!!!
شَمِر أكْرُب زنْدَك هُب.. يَلا هُب
أرمي الدنيا جوه جُب.. يلَا هُب

خلاص لا فرح لا حُب.. يلا هُب
مع الشهداء أجري وخُب.. يلا هُب
لعدوك أكْسَح وجُب.. يلا هُب
يلا... يلا... يلا هُببب
* * *
انتباه.. يا شعبُ.. انتباه
كفاية هرجٌ كفاية!!!
الحربُ مِفْتاح الفَرج.. يا هَمَج
يا غِرْبان من كل فج.. يا هَمَج
كل ضلمة بَعْدَها وهج.. يا همج
يحرق أوثاناً عُوُج.. يا هَمَج
يبيد كداميلاً وقُجَج.. يا هَمَج
يا هَمَج... يا هَمَج... يا هَمَججج
* * *
انتباه.. يا شعبُ.. انتباه
كفاية نُواحٌ كفاية!!!
زي ما حطموه ودمروه.. ح تبْنيه
زي ما جابوا عاليه واطيه.. ح تِعليه
وكل جار نِسَى ماضيه.. ح تِواسيه
وكل لُعبة في يد صانعيه.. ح تشْويه
الدنيا دوارة عليك وعليه.. ح تِوريه
ح تبْنيه... ح تبْنيه... ح تبْنيييه

الوداع.. الوداع..

يا سمبر.. سمبور..

الوداع.. الوداع..

يا حكيم لقلاق..

يا طويل ساق..

أبو منقار.. أبو منقور..

الوداع.. الوداع..

يا مهذب يا وقور..

عالي همة.. رقيق شعور..

ملك خضرة.. ورود، وزهور..

يا سمبور! راح الخريف راح..

رحلت غيوم..

وهاجرت أفراح..

سكنت بوم..

وعششت أتراح..

بهجتك سَرّتْ عيون..

مَتّعتْ صغار، كبار، وشباب..

صوتك نغم حنون

عود، كمان، ورباب..

تحليقك لوحة فنون

حاكَى غمام وسحاب..

حركت كمون وسكون..

وعمرت خراب..

أترى هل مِنْ بَعْدَك خريفٌ يكون؟

وهل بَعْدَ ذهابٍ إياب؟

* * *

الوداع.. الوداع..

يا سمبر.. سمبور..

الوداع.. الوداع..

يا حكيم لقلاق..

يا طويل ساق..

أبو منقار.. أبو منقور.